مصطفى نصر
الجهيني
روايه

الجهينى

رواية

مؤلفات الأستاذ مصطفى نصر

التى تنشرها وتوزعها دار ومطابع المستقبل

١ ـ الصعود فوق جدار أملس	رواية	١٩٧٧
٢ ـ الشركاء	رواية	١٩٨٢
٣ ـ جبل ناعسة	رواية	١٩٨٣
٤ ـ الاختيار	قصص	١٩٨٦
٥ ـ الهماميل	رواية	١٩٨٨
٦ ـ الجهينى	رواية	١٩٩٣
٧ ـ النجعاوية	رواية	١٩٩٣

الغلاف للفنان خلف طايع

مصطفى نصر

الجهينى

رواية

دار و مطابع المستقبل
بالفجالة بالقاهرة وصفية زغلول بالأسكندرية

الطبعة الأولى ١٩٨٤
الطبعة الثانية ١٩٩٤

إهداء ،

الى حبيبتى الجميلة . .الأسكندرية

مصطفى نصر

الجزء الأول

(١)

ذهب التومرجى ، تركه فى العيادة وحده .

لاشئ يهم الآن . تبقى هنا ساعة أوساعتين ، أو حتى العمر كله ، لن يسأل عنك أحد .

شقتك فى كليوباترا خاوية ، ليس بها سوى المقاعد والأثاث . كلهم تركوك .. حتى النساء . لم تزرك فيها واحدة .

حرك جسده فوق الفراش ، تأكد أنه مازال حيا . أشعل سيجارة ، بجوار علبة سجائره على الكومدينو . الرسالة التى جاءته اليوم :

(عباس ابن أخيك آت اليك)

فليأت عباس ويرى حالى ـ جسدطويل عريض يزن أطنانا عندما أسيرفى شارع إيزيس أدقه .

خاويا من كل شئ . نسيت كل شئ عن الطب (مهنتى)..

سكان غربال لايصدقون . مازالوا يصرون على اننى طبيب .

لمس الرسالة بأصابعه . مازلت أتذكر عباس هذا ، رغم أننى رأيته منذ عشرين عاما ، آخر مرة زرت فيها الصعيد.. كان كغراب يابس ، طفل أسود كجريد النخل ، كأن جسده بلا دماء .

أستجمع كل قوته وهب فجأة ليقف . حمل أشياءه وأغلق الدار خلفه وسار ..رحلة مريرة .. خطوات قصار ويصل لسيارته ..

فى شارع ايزيس ـ خارج الدار ـ لافتة معلقة مكتوب عليها بخط كبير(عيادة الدكتور الجهينى) نظر الى اللافتة وبصق فى ازدراء.

* * *

وقف عباس فى محطة القطار بالاسكندرية ، وحوله قفف ومقاطف كثيرة نظر حوله. لم يجد عمه الدكتور . ماذا يفعل وهو لايعرف طريق العيادة ، لايعرف سوى اسم الشارع (شارع ايزيس) علمته أمه ان ينطق اسم الشارع بصعوبة .

حمل الحمالون أشياءه . قال له احد الحمالين :

ـ أستدعى لك تاكسيا .

ـ لا..

أحضر الحمال عربة كارو صغيرة ،. وضعوا بها أشياءه .كان الحمال عجوزاً والأشياء ثقيلة مما أضطره لأن يساعده فى جر العربة .

دفع للحمال أجرة أكثر بكثير مما كان سيدفعه لسائق التاكسى .

* * *

كان الدكتور في عيادته ، قال له مساعده :

ـ شاب بالباب يريدك . ومعه قفف ومقاطف.

ترك مرضاه . حمل همه وسار لاستقباله . مازال عباس كغراب يابس. لاشئ فيه قد تغير .«أخفه ايها المساعد ، ألقه في أى ركن ، أبعده عن عيون المرضى حتي لا يروا ما فيه من عفن وأهمال . »

سأله الدكتور بعد ان أنصرف مرضاه ، عن البلدة . قال : كل شئ فيها قد تغير منذ أن هرب منتصر الى الخارج . وفصلوا أباه العمدة .

أستلقى الدكتور علي قفاه في حجرة الكشف .ظل محملقا في السقف

ماذا سيفعل في أبن أخيه هذا . انه لايستطيع ان يأخذه معه الى شقته في كليوباترا .

حقيقة هو يعيش فيها بمفرده . لكنه لايستطيع احتمال انسان مثل عباس ــ كما انه لايستطيع ان يتركه لينام في العيادة .

أمتدت يده الي المائدة المجاورة للسرير ، حمل علبة سجائره أخرج سيجارة ، أشعلها . «لماذا لايرسله الى خضرة ؟ »

نفث دخانه . « خضرة هي الحل . لقدقدمت له نفس الخدمة عندما جاء من بلدته في الصعيد . وقت ان كان طالبا في الطب»

أرسلته أمه اليها قائلة :

ـ هناك في الأسكندرية . قريبة لنا اسمها خضرة . أذهب اليها ، لتجد لك سكنا .

أبتسم الدكتور ، وضع يده تحت رأسه . « كانت خضرة صغيرة لم تزل ، قصيرة ومتلئة . كل شئ قدتغير . حتي خضرة ، هى الآن عجوز . يابسة . لاطعم لها ولامذاق »

نفث دخانه ...

ساعدته خضرة . أوجدت له سكنا . وأعطته من لديها فراشا ووسادتين .

زوجها مرسى يعمل عربجيا . يكسب كثيرا . أشترى لها منزلا فى غربال تؤجر بعض حجراته للأغراب .

بعد ان أقحمه ابن عمه ـ منتصر . فى السياسة ، كان عليه ان يلجأ الى خضرة لتساعده فهى تعرف كل أهالى غربال .

أستطاع ان يصل الي قلوب أهل الحي . أحبه مرسى ، سهر معه الليالي ، حكى له عما يلاقيه طوال يومه في عمله .

وطافت خضرة به الحي .

« الدكتور الجهينى . ابن جهينة »

وصار البرلمان مقره . وأنسته السياسة الطب . ولولا ان زبائنه كلهم من غربال لكان مصيره السجن .

* * *

أرتدى ملابسه مسرعا ، أخذ عباس وذهب الى غربال .

وقف بعربته فوق ناصية الشارع . هبطا معاً جبلا صغيرا . بعد عدة

منازل صغيرة متآكلة كان بيت خضرة .

وقفت النسوة الجالسات أمام بيوتهن ،.

أقترب الدكتور منهن . صافحهن . قالت عديلة وهى تخفى أسنانها المتآكلة بوشاحها الأسود :

ـ اهلا بالدكتور .

ـ كيف حال حارة ولدك؟

ـ بخير « يبوس » ايدك .

قال الدكتور بعد تردد مقدما عباس لهن :

ـ عباس ابن أخى .

أسرعت طفلة صغيرة الى بيت خضرة لتناديها . فهن يعلمن ان الدكتور لايأتى ـ الآن ـ الى غربال الاً من أجلها .

يعرف الحى كله ما كان بينهمامن ود. حتى مرسى زوج خضرة يعرف هذا . يبغض الدكتور ، لكن لا يظهر هذا له .

أسرعت خضرة مهرولة . ماالذى ذكر الدكتور بها . انه لم يزرها منذ مايقرب من عام . تهللت للقاء :

ـ اهلا . سيدى الدكتور .

قال مبتسما :

ـ اهلا خضرة (ثم مسرعا وهو ينظر الي عباس) عباس ابن اخى.

قلّ حماس خضرة ، من عباس هذا ؟ لعله هو سبب مجيئه اليك .. لم

يكن الشوق هو السبب .

سارت الي الداخل ، أحنى الدكتور قامته المديدة حتى لايصطدم بحافة الباب .

سار فوق بلاط قديم متآكل . لولا عباس هذا ماجاء الي هنا ثانية . لكن للضرورة أحكام . فهذا البيت يذكره بماضيه الذي ولى . حتى خضرة تذكره به وبالبرلمان وابن عمه منتصر وزير الداخلية السابق .

نظرت امرأة سمراء ذات ملامح جميلة الى الموجودين فى خجل .

قالت خضرة للدكتور سعيدة :

ـ ابنتى ازهار .

ابتسم وهو يصافحها :

ـ كيف حالك ياأزهار .

ـ بخير .

جلس الدكتور وعباس فوق كنبة عربى عتيقة .وخضرة وابنتها فوق كنبة مواجهة .. قال الدكتور لأزهار :

ـ ألم يتحدد بعد موعد خروج زوجك من السجن . ؟

شعرت بالحياء . أطرقت . قالت فى أسى :

ـ يقولون انه سيخرج في الغد .

يتصبب عباس عرقا ، ينظر الى المرأتين فى حيرة ،يبحث عن شئ يضع عينيه فوقه .

تابع الدكتور أهداب أزهار المرتخية فوق عينيها فى أسى . كانت أزهار طفلة وانت تصل الى الشهرة . وعندما أصبحت امرأة مكتملة الانوثة بدأت ـ انت ـ في الانحدار . أزاحوا من تحتك كرسى البرلـمان ، وأوقعوك . قالوا لك مطرود من البرلمان وليس من حقك حتى محاولة الدخول فيه ثانية ، حرموك من الترشيح ، طبقا لقرارات التطـهير .

قال الدكتور :

ـ لقد جئت بابن اخي لتسكنيه بيتك .

قالت خضرة فى تودد :

ـ ان لن تحمله الأرض . أحمله فوق رأسى.

أراد الدكتور ان يهرب من هذا كله .

عندما خرج عائدا الى عيادته . كانت خضرة فى وداعه ، نظر الى عينيها الغائرتين . وقال لنفسه :

« لاأدرى لماذا تعيش هذه المرأة للآن . انها تذكرنى بالموتى .. بمقعد البرلمان الذى سحبوه من تحتى والقوه للنار »

* * *

يجلس عباس بالداخل وجلا . يتابع أزهار في خيفة . أين فتيات البلدة من هذا الجمال الرائع العجيب ؟! آه. ماالذى ذكرك بالبلدة الآن. تركتها بعد ان أضنتك الحياة فيها . عمك العمدة أقالوه فولده منتصر

خائن ،فار فى بلاد الأغراب .

يقولون انهم ان أمسكوه ، سيشنقونه . لقد أغرق البلدة كلها وراءه .

كانت كل القرى المجاورة تعرف قدر جهينة . وتحسب لها الف حساب .

لكن الآن صارت خاوية من كل شئ . هجرها أهلها الى غربال . لم يتبق بها سوى النساء والاطفال والشيوخ . وبعض البلهاء .

ايه كنت انت الآخر ، حتى الأمس فقط أبله مثلهم .

ماالذى يبقيك بجهينة حتى الآن . أجرك من خياط البلدة لايكفى طعام اخوتك وأمك ، ذلك الخياط الابله ، زبائنه تركوا له البلدة كلها ومازال مصرا علي ابرته وخيطه هناك .

لقد انتقلت جهينة كلها الى غربال . لماذا لايأتي هو الآخر ويفتتح دكانه بينهم وتعمل انت لديه كما كنت ؟!

حينذاك كنت سترسل لتأتى بامك واخوتك.

ابتسمت ازهار . قالت في عناء :

ـ نورت الأسكندرية .

شعر بالحياء . أطال النظر الى وجهها الأسمر الرائق . ما شأنك انت والسجون ؟!

ـ نورت بناسها .

أعادت رقبتها الى الانحناء . أهدابها الطويلة ارتخت . جاهد هو ليسألها :

ـ لماذا دخل زوجك السجن ؟

« منك لله يادكتور . أعدت اليها المواجع ثانية ، فضحتها أمام ذلك الغريب »

قالت فى ضعف شديد:

ـ قضية مخدرات .

ـ ربنا كبير .

عادت خضرة . قالت مرحبة بعباس :

ـ نورتنا . قلت لى ابن من أنت ؟

ـ إبن قناوى ؟

ـ أقصد أمك .

ـ بهية

ـ بهية من ؟ لاأستطيع أن أتذكرها . لقد نسيت أهلى ، ذلك غريب حقا

ـ أبى قناوي كان مزارعاً على قدر حاله . لم يفلح فى المدارس من عائلتنا سوى الدكتور ومنتصر . أتعرفينه ؟

ـ منه لله جعلنا نخاف ان نذكر اننا من جهينه .

أعاد النظر ثانية الي أهداب أزهار وجيدها الطويل .

قالت خضرة :

ـ تعال ، لترى الحجرة التى ستسكنها .

صعد وراءها درجا خشبيا قديما . دفعت بابا خشبيا لحجرة صغيرة خاوية تماما . :

ـ سأحضر لك فراشا ووسادة لتنام . وفى الغد سأدبر لك بعض الأثاث.

قالت وهى تهبط :

ـ لاتنس ان عمك الدكتور قد لجأ الىّ ايضا فى مطلع شبابه وأعطيته فراشا ووسادتين من عندى .

* * *

عاد مرسى ـ زوج خضرة ـ حاملا جاكتته فوق كتفه ، مشمرا قميصه ،فبدت عروق ذراعه متفجرة من ثقل الأمتعة التي يحملها. رمى جاكتته لازهار وقال :

ـ بها مصروف فتحي ولدك .

تابعته خضرة فى صمت وكبرياء . قال لها مترددا :

ـ كيف حالك يا أم حسن ؟

قالت ازدراء :

ـ سعيدة بلقياك

قال لازهار :

ـ لقد تعب أبوك كبر ، للعمر احكام ياابنتى ، تصدقين ، لم أستطع اليوم حمل ثلاجة فوق ظهرى لأدخل بها شقة فى الدور

الأرضـي ، وانا الذى كنت أحملها وأصعد بها خمسة أدوار وأكثر دون أن أتعب .

مصمصت خضرة شفتيها و قالت دون أن يسمعها :

ـ فالح .

أزهار تبتسم لأبيها فى ود ، منذ ان جاءت من بيت زوجها ــ بعد القبض عليه ـ وهو لايكف عن تقديم الهدايا لها ولولدها ، وقد أخذه معه ليساعده فى عمله .

سعد الولد لقيادة العربة.وركوب الحمار . يقول لها أبوها :

ــ فتحى« صبيبى » وسأجعل منه عربجيا قد الدنيا .

لكن موقف خضرة منه غريب . فهى سعيـــدة الى ان يـــأتى هـو ، فتتحول من السعادة الى الحزن . تنعي حظها دائما ، كان الشيخ الشيمى ـ صاحب البقالة الكبير فى الحى ـ يريدها . لكنها فضلت مرسى عليه .

يسمع مرسىَ هذا ويصمت . فهو يعلم ان الشيخ الشيمى عندما أرادها ، لم يكن يمتلك سوى قفطانه المتسخ الذى يرتديه على اللحم .وانه جاء من جهينة الى غربال سائرا على الأقدام (يعد الفلنكات) حتى تورمت قدماه .

يحتملها مرسى من أجل أزهار التى بلا زوج الآن . ومن أجل ولده حسن الذى مازال فى حاجة اليه .

يعمل حسن في الجمرك ، يعرف لغات كثيرة ، يرطن مع الاغراب بكل لغة .ويكسب . لكنه يعود بلاشئ . يتعاطى بالنقود أفيونا وخمرا أبتليت يامرسى . عليك ان تتحمل خضرة .

لكن قبل أن تعود أزهار لبيتك ، وقبل ان يعرف حسن الخمر والأفيون . لماذا كنت تتحملها ؟!

انك في الحقيقة لاتعرف سر هذا الخضوع الذى تبديه لها . ولاتعرف سر الجفاء الذي تبديه هى لك .

كان من باب أولى ان تعطيك ما كانت تعطيه لطبيبها اليدين كعجل فأنت زوجها ، وأفضالك عليها لاتحصى . وأنت أكثر من ذلك الطبيب قوة . مازلت للآن تستطيع ان تحمل الأشياء .لا. لا تهتم لانك لم تستطع اليوم حمل ثلاجة فوق ظهرك . فهل يستطيع هو . رغم انه أصغر منك عمرا ـ ان يحملها أو يحمل أقل منها ؟!

أونسيت عندما راهنك زملاؤك العربجية في « المرقف» فى عز طوبة الماضي .بأن تسبح فى البحر المالح من «السلسة» حتي «الجزيرة » ، وسبحت في البحر . لم تهبه . شعرت بالبرد حقا. لكن لابأس فقد كسبت الرهان ..

ترى ماالذى يعجبها فى ذلك الطبيب ، ألأنه طبيب وأنت عربجى ؟

وهل يجيد الطبيب الحب أكثر من العربجى؟

انني أراهن ان يوجد من يمارس الحب مثلى .

أم ترى ان تلك السياسة اللعينة هى التى بهرتها .

أقترب مرسى من أزهار ، دون ان تلمحه خضرة . سألها :

ـ ماذا حدث لامك اليوم ؟

ـ لم يحدث شيئا .

كانت زيارة الدكتور لخضرة قد أوهجت نار الحب في جسدها ثانية . فزادها هذا كرها لمرسى .

* * *

نامت خضرة فوق سريرها ذى العمدان المرتفعة . ومرسى بجوارها يدخن سجائره اللف .

شردت ......

كان مرسى يحدثها وهى لاتسمع . أزهار تنام مع ولدها فتحى فى الحجرة الأخرى . وحسن مازال يغنى ـ منتشيا ـ فوق كنبته فى الطـرقة .

دخان مرسى يقترب من أنفها . كان الدكتور يدخن بجوارها ، تنام هى بجواره ـ هكذا .سعيدة . يقول لها :

ـ انت لاتكبرين أبدا يا خضرة .

ذهب الدكتور عنها . كلهم ناكرون للجميل . كل رجال غربال . أووا اليها أول ماأتوا . كانو يهربون من جهينة . يأتون بلا شئ . منهم من يأتى سائرا علي الأقدام ، مريضا . شاحبا كالاموات .. سيقانهم

وأقدامهم ملتهبة ، متورمة .

وتأويهم خضرة ..

لم تكن غربال عمارا . كما هى الآن.

كانت أرضا فضاء . شاسعة ــ الأ من بيوت قليلة متناثرة . وحولها أراضى زراعية من كل جانب . تصل الى ترعة المحمودية . وساقيه يتيمة فى آخر الشارع (مكانها الآن بيت كبير لمغاورى شيخ الزبالين) جاءوا الى بيتها قال مرسى محتجاً :

ــ أنهم كثيرون ياخضرة .

ــ أنهم أولادنا . أولاد جهينة .

عملوا كناسين وماسحى أحذية . وعمال مجارى . أبتدعوا مهنة الزبالة ..يحملون الزبالة من البيوت نظير أجرة زهيدة . يجمعون الورق وباقى الأشياء المتبقية فيها . وأغتنوا .

جاءها مغاورى بلا حذاء . عمل مثلهم ماسح أحذية وكناسا . هو الآن أغني رجل فى الحى . يشترى بيوتا كثيرة . يعيش فى الابراهيمية كالبهوات

قالت خضرة لمرسى وقتها:

ــ دعك من عربتك وحمارك . وأعمل زبالا .

قال لها فى كبرياء :

ــ لا أحمل زبالة أحد .

عندما جاء رجال التنظيم . وخططوا الشوارع فى الحى . دعا الناس الحارة باسم مغاورى ،،، بسبب بيوته العديدة فيها .

كانت تود ان يدعوها باسمها . أو باسم الدكتور عشيقها .

الآن، هم يتنكرون لها . يقولون كانت وكانت . كان الدكتور عشيقها ..

«أجل كنت ملتاعة . أسير وسط الأرض الزراعية الخاوية من كل شئ . حتى من عمود نور يضيئ المكان . أرمى الحجارة فى الساقية فلا يحس بى أحد . يأتينى مرسى في المساء . يعطيني ماأريد . يجعلني أرتوى من عرقه وعرقي يحكى لى . عن الثلاجات التى يحملها . يصفها لى يقول انها تشبه الدولاب . لكنها بيضاء وثقيلة .

كنت أرتاح له . أطمئن .

وجاء الدكتور، صبيا صغيرا ، في عينيه كل الآمال التى أحلم بها : ان أسير معه فى المزارع كالعاشقين . أجلس بجواره . ينظر الى ماء الساقية المهجورة . كلماته ساحرة . أحيانا لا أفهم حديثه . لكننى أزداد به ايمانا وحبا .

وزاد حبي له عندما نضب معين مرسى . ماعاد يعطينى ماأريد . ينام بجوارى كالسطيحة . شاخ الرجل . وأنا فى حاجة لمن يجدد احلامى

قالوا حينذاك

ـ انت لا تعرفين حبيبك من عدوك . مرسى زوجك وأحق من الدكتور بكل هذا الأهتمام .

أأنا اسأت الاختيار . أليس الدكتور أشهر جهينى فيها .. ؟

كنت مبهورة بكل ماهو جهينى : الدكتور ومنتصر .

لم أر منتصرا قط . لكن الدكتور حكى لى عنه . لو جاءنى الآن لطردته.أليس هو الذى أضاع الدكتور منى . أجل . منذ ان حرمت الثورة الدكتور من ممارسة السياسة وهو زاهد فىّ . أشعر أحيانا ان منتصراً ليس هو السبب الحقيقى . انما هى الثورة الى فعلت كل هذا . هى التى حولت جسدى الى عظام نخرة . عيون فقدت سحرها . وشئ ملقى يعافه الدكتور الآن .

(٣)

أستيقظ عباس بعد الظهر فقدأعياه السفر ، قطار الصعيد . والتقشف والمقاطف والنوافذ العارية .

تذكر عمه الدكتور وجسده الكبير . لم يرحب به كما كان يتوقع . كان ينتظر منه ان يأخذه الى شقته البعيدة التى يحكون عنها فى البـلدة . ويقولون ان بها أشياء غريبة وعجيبة .

تذكر ماحدث بالأمس . كأنه كان يحلم .. رؤية ضبابية . وجه خضرة وأزهار .. أراد أن يخرج من حجرته . لكنه شعر بالحياء جاءته أزهار بعد لحظات :

ـ أستاذ عباس . استاذ عباس .

قال فى وجل :

ـ أجل .

أسرع وفتح الباب .. هذه المرأة تزداد جمالا يوما عن يوم .

حملت اليه الغداء . تحدثت معه طويلا . حكت له عن زواجها الخائب

من «أبو زيد» قريب امها .

ذهب الى« جبل ناعسة » كعادته . لكنه لم يعد . قبضوا عليه وهو يبيع الأفيون هناك . لم تره من يومها . ستراه اليوم وهم يزفونه بالطبل الصعيدى كعريس .

نظرا معا من فوق السطح . تراءى الشارع أمامها . دكان بخيت الحلواني على ناصية أحد الأزقة التى تقطع الشارع ، مجموعة من الشبان يقفون بجوار الدكان ، وآخرين ـ أكبر منهم سنا ـ يجلسون فوق دكك خشبية داكنة اللون .نظر شاب أعورمن بينهم . وصاح ملوحا:

ـ نهارك فل ياجميل .

ضحكت أزهار بصوت مرتفع . قالت ملوحة بيدها :

ـ أتنيل .

شعروا جميعا بوجودها . أطلوا اليها . قالت لعباس :

ـ هذا حارة .

قال عباس فى دهشة :

ـ اسمه حارة !!

قالت وهى تضحك :

ـ أجل ، شعرت أمه بآلام الوضع وهم يحملونها الى المستشفى . فولدته بجوار كوم الزبالة (أشارت الى كوم زبالة كبير وسط الحارة) فدعوه حارة لذلك .

بعض الشباب يلوح بيديه مداعبا . وآخرون يتحدثون وهم ينظرون اليها ..

قالت لعباس :

ـ كنت ألعب معهم قبل ان أتزوج .

خرج بخيت الحلوانى من دكانه . رجهه مائل للاحمرار . شـاربه طويل . أبيض ، أشار بيديه :

ـ تأخرت اليوم علينا يا«زهر» .

قالت مشيرة الى عباس :

ـ لدينا ضيف اليوم .

قال حارة ثانية :

ـ (يخرب عقول اللى حجبوك عنا) (١)

ضحكت ازهار . تململ عباس فى وقفته .

قال بخيت الحلوانى متسائلا :

ـ سيخرج أبوزيد اليوم ؟

أومأت برأسها .

* * *

مر الجمع الكبير أمام عباس وأزهار .طبل صعيدى ورجل يابس يرتدي بالطو رصاصى اللون ، برغم الحر يسير أمامهم بخيلاء .وكثيرون

---

١ ـ مقطع من أغنية سكندرية مشهورة .

حوله .

البعض يرقص ـ والنساء تزغرد ـ نظر ابو زيد الى أزهارثم لوح بيده أسرعت خضرة أمام الطبل . أخذت ترقص . ثم ضمت ابوزيد الى صـدرها ..قبلتة .

دخل عباس الحجرة مساء ، أنزوى بعيدا . تابع أزهار في صمت

ومرسى جالس فوق الأرض ، يسند ظهره للكنبة . عاد أبو زيد . سيأخذ أزهار ثانية الى شارع «شجرة الدر» وسيأخذ ولده فتحى الذى أعتدت ان يعمل معك .. عيناك ماعادتا تستطيعان الرؤية .يقود فتحى العربة ويحرسها اذا ماصعدت العمارات لحمل الأشياء اليها .

عاد ابوزيد ثانية وزاد قلقك . سيعود حتما الى بيع الأفيون . ستخاف كل ليلة ان تدق الشرطة باب ابنتك : ليفتشوا فراشها .

كم تكره انت هذا الرجل . فقد كان حائلا بينك وبين الوصول لما تـريد . كنت تود ان يكون ولدك ـ حسن ـ طبيبا مثل غريمك الدكتور الجهيني.لكن ولدك أنساق خلف أبو زيد ؛ بعد ان كان على وشك الحصول على الابتدائية

ـ تقول خضرة اذا ماقاسيت عليه :

ـ دعه. ليس هناك من يمت من الجوع . كله محصل بعضه .

وأخذه أبو زيد معه . جعله يدمن الخمر والأفيون .

جاء حسن بعد ذلك راميا جاكتته فوق ظهره . رحب بأبي زيد . ولم

يعر اهتماما لعباس . سأله أبوزيد عن حال العمل فى الجمرك . قال فى أسى:

ـ زفت ، منذ ان رحل الأنجليز والشغل قل .

أخرج ابوزيد قطعة أفيون برمها بابهامه وسبابته . وأعطاها له .

تابع مرسى خضرة المنتشية وهي تغير فحم الشيشة لابى زيد .

يود عباس ان يقوم . ان يهرب ، يتابع ازهار اللاهية عنه .

أعتدل مرسى في جلسته . يتابع الوجوه دون قول ، أشياء كثيرة فى رأسه لكنه عاجز ان يتخذ قرارا .

* * *

فى مواجهة دكان بخيت الحلوانى مسجدصغير . أمامه عدة درجات رخامية عريضة . يجلس فوقها ابناء الشارع . يلعب الاطفال فوقها بطوب صغير يلتقطونه بأصابعهم فى مهارة . فاذا جاء الكبار يتركونها لهم ، ويجلسون على الارض و يكملون لعبهم .

دكان بخيت الحلواني مغلق الآن .فهو لم يعد من عمله . يعمل فى مخبز أفرنجى وحلوانى يسمي جورجى .

أقترب عباس وحسن من حارة و عزب الجالسين فوق درجات المسجد

قال حسن لعباس :

ـ نجلس معا فى الهواء .

قدمه حسن اليهما :

تابعه حارة بعينه فى ازدراء .

عزب طالب بمدرسة رأس التين الثانوية . أحسن هنداما من حارة يعمل لدي أحد الزبالين الكثيرين في الحي أيام الأجازات . ثم يسأم ذلك فيعود ثانية الى رخام المسجد . يجلسان معا (هو وحارة) يقرآن كتاب ألف ليلة وليلة ، ينتشيان ، يقسم كل منهما انه لابد ان يجد له ضـــالة ، ليفرغ فيها نشوته .

يقرأ حارة كتب القانون . يذهب الى المحاكم ، يحضر الجلسات ، يعرف الى أى يوم تأجلت القضية . يكتب التاريخ فى ورقة معه . ثم يتابعها ، يحكى لعزب عمايحدث .

يدخلان السينما أحيانا . فيعود حارة ملولا ، يشعر بآلام فى عينة . يسب عزب لأنه هوَ الذى يدفعه لهذا دائما .

يأتى بخيت الحلوانى . يراه حارة آتيا من فوق الجبل حاملا ـ تحت ابطه ـ لفافة . وفى يده الأخرى الخبز الفينو . يقتربان منه . يمد عزب يده اليه :

ـ عنك يابابا «بخيت»

يقول بخيت مراوغا :

ـ أبعد ، يلعن أبوك .

يقول حارة وهو مازال فى جلسته فوق درجات المسجد الملساء :

ـ أعطه الخبز يارجل . نحن أولى من نسائك العواجيز .

ـ النساء خير منكما . على الأقل لحمهن طرى .

همس حسن لعباس ضاحكا :

ـ انه يعطى الخبز والجاتوه لبعض النسوة فى الحارة . يسمحن له بلمس أردافهن ، وهن يشترين منه .

يسرع عزب لمساعدته فى فتح الباب . ويعود برغيف . يأكله مع حارة .

* * *

يأتى المساء ، مرسى وسعد أفندى (موظف البلدية) يجلسان مع بخيت الحلوانى . على المقاعد . ويلتف الآخرون حولهم . إحتفالا بقدوم عباس ، أرسل سعد افندى الى بيته القريب وأحضر مقعدا ، ليجلس عباس فوقه .

يقول بخيت منتشيا :

ـ لم يعاشر النساء أكثر منى فى مصر . سوى فاروق (يقصد الملك فاروق)

يقول مرسى بصوته المشروخ :

ـ أنا عاشرت النساء أكثر من فاروق نفسه .

يعارضه بخيت فى غضب . يحمر وجهه ، يسهب فى وصف مغامراته مع الانجليزيات ويحكى مرسى أيضا عن مغامراته هو الآخر ، ثم يسأله فجأة :

ـ تعاملت مع المرأة السوداء التى كانت فى اللبان ؟

يصيح بخيت

ـ تعاملت مع سودانيات كثيرات ٠

يردد مرسى مدعيا علمه ببواطن الأمور :

ـ السودانيات يتم ختانهن بطريقة تجعل التعامل معهن أكثر متعة من غيرهن

يتابع سعد أفندى الحديث بابتسامة وقور، مكتفيا بتوزيع السجائر والتمخط من وقت لآخر .

يتلذذ الشبان الذين لم يجربوا هذه الأشياء ، يحسدون الآخرين ، يلعنون الزمان الذى ذهب بالانجليز . فحرمهم متعة اللقاء بنسائهم .

ويسأل عزب :

ـ وهل كانت الانجليزيات ترحبن بمعاشرة أى مصرى .

ويضحك بخيت قائلا :

ـ أى مصرى كيف . بالعقل . أهناك امرأة ترضى برجل مثل حمارة ؟!

ويرد عزب جادا :

ـ بالطبع لا .

ـ اذا كانت المصرية لن ترضى به ، أسترضى به الأنجليزية ؟!

يلعنهما حارة وهو يضحك .

يداعب سعد افندى نظارته . يتابعه حسن ـ ابن مرسى ـ من بعيـــد . غائر عباس في مقعده . يعجب من هذا الحديث الذى يدور أمامه . فى جهينة لا يستطيع أى شاب ان يذكر مثل هذه الأشياء أمام من هم أكبر منه سنا ،

تصطدم نظرات سعد أفندى ـ من خلف النظارة بنظرات حسن . يتابع سعد سيجارته . كان حسن قد ترك الخمر والأفيون ، تابع ملكه ابنه سعد افندي وهي تطل من النافذة . وكان حسن جالسا يومذاك امام دكان بخيت الحلواني لم يستطع نسيانها . قايض بعض ركاب سفينة ايطالية . كانت راسية بالبحر ..

أخذ منهم بنطلونا وقميصا . لبسهما . لبس حذاء بعد أن كان يكتفى بالشبشب . مشط شعره ،. وجلس يتابعها .

ابتسمت له . ازداد بها تعلقا . سيهجر الخمر الى الابد . لن يســـكر .سيحاول أن يبتعد عن الافيون . ملعون أبوك يا ابو زيد ! علمتنى تعاطى الأفيون .

كتب رسالة لها ، دسها في يد فتحى ابن اخته أزهار . وأعطـاه شلنا .. ردت عليه برسالة . أقسم يومها الا يرى الأفيون الى الأبد .

أشترى ملابس جديدة . فرحت خضرة . شعر مرسى أن ولده سيريحه من قلقه وشعوره بالخزى . قال لهما :

ـ أريد أن أتزوج .

قالا :

ـ عين العقل .

ذهبا معا الى سعد افندى ، لكنه لم يوافق . قال ان قريبا لها يريدها . فى اليوم التالى جاء حسن الى الحى سكران . ذهب الى قهوة ابو دومة التى يجلس سعد افندى عليها . أطاح بالمقاعد . كانت قوته مازالت بها بقية .. يومها أنقذوا سعد افندى منه بعد جهد طويل .

جاء سعد افندى الى مرسى ليشكوه له ، قابلتة فى دكان بخيت الحلواني . شكا له . شرب الشاى معهما . من يومها وسعد افندى يأتى اليهم ليشاركهم جلستهم .

تأتى امرأة عجوز ، يذهب بخيت الحلوانى اليها . يتابعه حارة وعزب يقول لهما :

ـ عيونكما ياأولاد الكلاب .

يقول له مرسى فى أسى :

ـ ذهب الإنجليزيات . وذهب الشباب . ولم يتبق لك سوى تلك النفايات .

يحاول أبناء بخيت . وهم يشغلون مراكز هامة ـ أن يأخذوه معهم فى سيدى جابر ، ويترك الدكان والعمل فى مخبز جورجى . لكنه يرفض

هذا . يذهب معهم . يغلق الـــدكان يوما أو أثنـــين ...ويعـــود ثانيـــة ، لايستطيع احتمال وقار زوجته العجوز التى لاتتماشى مع اهوائه .

ينام فى الدكان ، ويقولون انه يأخذ فى آخر الليل امرأة من الحى لتنام معه .

ويحكى حسن أنه كان عائدا آخر الليل . فوضع أذنه فوق باب بخيت فسمع امرأةتتأوه . لكنه لم يتبين صاحبة الصوت .

في اليوم التالى شاع ذلك الخبر . أخذ عزب وحارة يتهمان النساء ويختلفان . جزم حارة ان تلك هي « حليمة العالمة» .فغضب عزب . وحاول ان يضربه . فهو علي علاقة بها .

وتحدث سعد أفندى يوما إلى بخيت . بأن يطرد أصدقائه هؤلاء لأن بناته يخجلن أن يأتين اليه للشراء .

فأجابه بخيت في كبرياء :

ـ لا أريد أحدا يشتري منى شيئا ، أنا فاتح الدكان « لمزاجى» وهؤلاء أولادى .

(٣)

أعتاد عباس جلسة درجات المسجد الرخامية . بجوار حارة وعزب . مازالت في سترته بضع نقود قليلة . عمه أهمله . ان لم ينقذه بمبلغ آخر لن يجد مايأكل به

ستذهب أزهار ، فقد قالت له فى الصباح :

ـ فى الغد سأذهب الى شقتى بشارع شجرة الدر. فقد أنتهى أبو زيد من تجهيزها .

كانت أزهار لاتحرمك من طعام تعده .حتى جلستك بجوار حارة وعزب تحتاج لنقود . فهما دائما بلا نقود . يحتاجان الى سجائر وشراء بعض الأطعمة ، يتسليان بها .

اذا لم يجدا معك نقودا سيلفظانك . أذهب الى عمـــك فى العيـــادة ، وقل له انك مللت تلك الجلسة الكئيبة فوق الدرجات .

فى أيامه الأولى كان مبهورا بالاحداث التى تمر أمامه ..أشياء جديدة

لم ينسها . الا ان القلق والعوز يخنقانه ..مل حديث خضرة الدائم عن عمه الدكتور . وحكايات مرسى عن أيام شبابه و حمل الثلاجات الي أعالى العمارت والاستحمام في غز طوبة تحت الدش وفي البحر المالح

الأمر الوحيد الذي لم يمله هو النظر الى عينى أزهار . لم يمل حديثها الندى ، يشعر باللذة عندما تلمس ساقه طرف ثوبها .يغمض عينيه ويحلم حينذاك بأن يكون ذلك الأهتمام الذى تبديه له هو الحب .

أى حب يامسكين ؟! أتحبك تلك الساحرة ، أتشعر بك . ولماذا ؟لجسدك الضامر العليل . أم لبقائك ـ هكذا ـ كالصعلوك بلاعمل . سأله حارة :

ـ ستبقى هكذا بلا عمل ؟

قال بأسى

ـ أوجد لى عملا . ويدى على كتفك .

قال حارة ساخرا :

ـ مارأيك لو تذهب في الغد وتعمل زبالا .، تحمل قفة فوق ظهرك وتصعد الدرجات ،ثم تملأ القفة بالزبالة وتعود . قد تتعب أول الأمر . لكنك ستتعود هذا . ستجد أشياء كثيرة فى الزبالة : ملاعق شوك ، سكاكين . وأنت تليق لهذه المهنة . شكلك يدل على أنك زبال .

قال عزب معارضا :

ـ ابن شقيق الدكتور الجهينى يعمل زبالا .؟!

قال عباس :

ـ العمل ليس عيبا .

قال حارة :

ـ لا ، انا ليس لى شأن بك . فقديغضب عمك منى ، ولعل له نفوذ للان ، فيضيعنى .

ضحك عباس ،قال عزب جادا :

ـ مالذى يحيرك . يستطيع عمك أن يجد لك عملا فى الجمعية .

ـ أى جمعية ؟

ـ التى أسسها عمك لاهالى الحى ليبيع لهم تموين الزيت والسكر والشاى والأقمشة .

أرسلت أزهار طفلة صغيرة الي عباس لتستدعيه . أستأذن منهما وذهب .

كانت حليمة العالمة تقف أمام بيتها المواجه لدرجات المسجد . أشارت الى عزب . قال حارة ساخرا :

ـ قم يارميو .

وقف عزب فى تثاقل . فهو يدعى دائما أمام زميله بانها لا تهمه . وانها هى التى تبحث عنه دائما . راقبه حارة وهو يسير. أثنان نادتهما النساء و بقيت انت وحدك . بقي على درجات المسجد . حتى نادته عديلة ــ أمه ــ فقال لنفسه :

ـ لابأس . فامرأتك انت الاخر قد نادت عليك .

* * *

تلألأت حبيبات العرق فوق وجهه . وهو عائد من بيـت حليمة العالمة .وضع يده في سترته .شعر بلذة وهو يتحسس النقود التي أعطتها له ، أخذها حينذاك خجلا . قال :

ـ كفي . لقد أخذت منك الكثير.

ـ عندما تصبح طبيبا مثل الدكتور الجهيني . ستعوضني عن كل هذا . أليس كذلك ؟

ـ أجل .

أى حياة هذه التى تحياها . نسيت فى شهور الاجازة كل الدروس الى تعلمتها فى المدرسة . زبال مع حارة . يأخذك لتعمـل لـدى الـزبالين ، تخفى ملابسك المتسخة عن امك . أو تسير معه هائما من مكان الى آخر .يبحث ـ هو ـ فى اكوام الزبالة وسط الأسواق باحثا عن التاكيه الملقاة . يلتقطها . تأكل معه منها .

تتلذذ بتلك الحياة . يقول حارة لك :

ـ انت تتعلم منى أكثر مما تتعلمه من المدرسة . واياك أن تتناسى أو تتنكر لى، اذا ما أصبحت شيئاً ذا بال .

تورمت ساقا أبيك ، قبل ان تحصل علي الابتدائية . أصبح عاجزا عن السير الا من مساعدتك . تقف فيستند على كتفك . ينقل ساق

بصعوبة ،

لم يكن زبالا غنيا . مثل الكثيرين فى الحى . عمل كناسا . ثم ملاحظا على الكناسين . مرتبه ليس كبيرا.

قال لأمك :

ـ كفى تعليماً لعزب يعمل بالابتدائية . سيعينونه مفتشا على الكناسين .

بكت أمك وقتها . تريد أن تراك طبيبا مثل قريبها الدكتور الجهينى وشرد أبوك . وبكيت انت الآخر . قال لامك :

ـ لاتحزنى . يكمل تعليمه والله يفعل مايريد .

تذهب الي جراج البلدية بشارع « محسن » تأتى بالصراصير من هناك لتشريحها .

يقول مدرس الأحياء :

ـ تستطيعون الحصول على الصراصير من «غربال » . وهى منطقة يكثر فيها الزبالون .

تواريت خجلا حينذاك حكيت هذا لحارة . قال انه يستطيع ان يكتب شكوى في هذا المدرس أو أن يرفع عليه قضية «رد شرف» لتشهيره بحى غربال بهذه الطريقة ..

لكنك لاتهتم .

نساء الحارة يبهرون من كونك تلميذا . تتتشى حليمة ـ هى الأخرى

ـ لانها تعشق تلميذا . تظنك ستكون طبيبا مثل الدكتور الجهينى.

تستدعيك بعض النسوة لتكتب الخطابات لذويهن . أزواجهن يثنون على حسن اخلاقك . تتهامسن النسوة احيانا . يتحدثن عن علاقتك بحليمة . تؤكد النسوة ، والرجال الذين يعرفون بالعلاقة .. ان حليمة امرأة .و انها مادامت عاملة . فلابد ان تكون امرأة .

لكنها لاتسمح لك الا بما تسمح به الفتاة . تثور اذا ماطلبت المزيد تقول لك «انها تحبك حقا ، وكان أملها الاّ تتعدى العلاقة بينكما القبلات »

لكن كونها عاملة يجعلك تطلب منها المزيد .

[٤]

يتمدد الدكتور اسماعيل الجهينى فوق الفراش ، بجسده الكبير، قام متثاقلا عندما رأى عباس أمامه .

قال عباس :

ـ حضرت اليك بعد أن أنتظرتك طويلا فى غربال .

شعر الدكتور بأن ابن أخيه يريد أن يعاتبه .عباس ليس سهلا . هكذا قال له كل من يحضر من جهينة .

قال الدكتور :

ـ مشغول بالعيادة . كما أن صحتى هذه الأيام ليست على مايرام ،الضغط أشتد .

ثم بعد فترة صمت :

ـ الذى فعله منتصر ليس سهلا . لقدألب علينا حكام البلد الجدد .

أخرج سيجارة . دسها فى فمه بعصبية . ثم قال :

ـ هناك انتخابات جديدة لهيئة التحرير عندما أسمع بهذا أحس بأن تلك الأشياء ملكي . وسلبوها منى .

عباس صامت . يعرف ويحس بفداحة مافعله منتصر .

عاد الدكتور ثانية لهدوئه ، وقال :

ـ كيف حال خضرة معك ؟

قال عباس ضاحكا :

ـ لاتكف عن الحديث عنك .

أخرج الدكتور ـ بعد قليل ـ مبلغا من المال . قدمه لعباس ..

قال عباس وهو يبعد النقود عنه :

ـ لاأريد نقودا . أريد ان اعمل .

ـ تراخت يد الدكتور .

ـ أى عمل تريد . ليست لديك شهادات . أترضى ان تعمل عاملا فى مصنع . أو كناسا .؟

ـ أريد ان اعمل فى الجمعية المنزلية .

«تلك آخر الأشياء المتبقية لك من عملك السياسي .. »

كان قد طرح لاهالى الحى أسهما ، وأسس الجمعية . عندما حرمته الثورة من ممارسة السياسة لم تتذكر الجمعية . أو لعلها أعتبرتها عملاً بعيدا عن السياسة .

زفر الدكتور فى أسى :

ـ سأرسلك لمدير الجمعية لتعمل هناك .

ـ وأريد شيئا آخر .

قال الدكتور فى ملل :

ـ ماذا تريد ثانية ؟

ـ ان أرى شقتك بكليوباترا.

ـ سآخذك اليها .

* * *

أمسك عباس الجريدة وأخذ يقرأ .

الدكتور يقود السيارة شاردا . لمح العنوان الرئيسى بالجريدة . . وعباس يطويها (الأنتخابات لهيئة التحرير)

ظل يطارده . اذا مافتح المذياع ليسمع أغنية خفيفة . يأتيه المذيع بما يغمه (انتخابات جديدة ....) الأ يشعرون بأن هناك من يضيق بتلك الكلمات . الا يشعرون بما يقاسيه البعض .

وذلك الغراب اليابس . ماالذى يجعله يطلب زيارة شقته . أنه يريدأن يبقى فيها وحده . يبحث عن ذكرياته القديمة . فلماذا يأتى هذا ليدنس حياته ؟! بلاشهادات ويريد ان يعمل . أأقول لاصدقائى « هذا ابن اخى بلاشهادات ، عينوه »

سيسخرون منى بعد ان أتركهم . سيقولون « كل عائلته من عينه هذا الغراب السقيم »ثم يأتى ليدنس قداسة شقته .

منذ وقت بعيد لم تزره فيها امرأة .ولايقابل فيها سوى الصفرة المختارة .

وزارته خضرة فيها . أعتبرتها شقتها . نظفتها له وأعدت الطـــعام . لكنك لم تر امرأة مثل احلام . تذكر جيدا يوم أن قابلتها لأول مرة .كنت عائدا من جهينة فى القطار . فقد أرسل اليك منتصر لتحضر الى هناك لتكون ضمن مستقبلى الملك فاروق . كان الملك وقتها راضيا عن منتصر وعن جهينة كلها.

فى القطار العائد من القاهرة الى الاسكندرية قابلتها ، حمامة تطـــير .. جسد جديد لم تجربه . غير جسد خضرة الممتلئ .

تحدثت معها لتقتل الوقت وتقاوم رتابة تحركات القطار . بُهرت بكونك طبيبا وسياسيا (لم تكن طبيباً مشهوراً ولاسياسيا مشهوراً)

حكت لك ــ هى الأخرى ــ عن ابيها الغندورى بك .

قابلتها عدة مرات . كانت من النوع الذى لايكتفى بعلاقة عابرة . فتزوجتها ..

قالت خضرة لكل من تلقاه :

ــ لقد تزوج عود بوص . عروسه يابسة كعود البوص .

وعشت مع احلام أياما سعيدة . لولا مافعله أبوها ــ لعنة الله علـيه ــ لكانت معك للآن . الرجل أصابته لوثة فى عقله نطاف أضرحة الأولياء . أخذ يبعزق ماله مرددا ان عليه خطايا كثيرة ويجب ان يكفر

عنها .

وليته اكتفي بهذا . لكنه حمل قربة ماء فوق ظهره . وأخذ يسقى الناس في الشوارع .

حاولت ان تنهاه عن ذلك ، لم ينته .أضطررت لان تطلق احلام خاصة انك لم تنجب منها اطفالا .

أنت عاقر مافى هذا شك . عشت مع أحلام سنوات ولم تلد لك طفلا. وعاشرت خضرة أكثر منها ، ولم تجد لك شبيها فى ولدها حسن أو ازهار إبنتها .

* * *

«هاهى شقتى ايها « اللحوح » ، أنظر الى مافيها . أشبع ..، الشقة واسعة . يكسو جدرانها ورق بلاستيك من نوع راق بألوان متناسقة جميلة . فوق الجدران لوحات زيتية ذات ذوق رفيــع ، وتحـف كثيــرة ، ثمينة

عباس مبهور بالأشياء ، ذلك بلاشك عالم آخر لم تره من قبل .

تململ الدكتور قلقا . عباس ينام في حجرة أخرى . فالدكتور ينام عادة وحده ؛ حتي ايام كان متزوجا احلام ، بعد ان طلقها ، ظل ذلك السرير خالياً . الى ان جاءت هذه النفاية لتنام فوقه . للسجائر مذاق مختلف اليوم . منذأن حرموه متعة الانتخابات وكل شئ قد تحول الى المذاق المر .

أرسل قريب له (من جهينة) يعمل بوزارة الداخلية . سأله :

ـ أيسمحون لى بالترشيح فى انتخابات هيئة التحرير ؟

ـ لن يسمحون لك بذلك .طالما حرمت من الحق السياسى .

ـ لكن هيئة التحرير شئ آخر غير «البرلمان »

ـ ولو . أيستطيع ان يبقى كما هو فى شارع ايزيس . الى ان يجدآخر قد أصبح مسئولا عن هيئة التحرير في غربال . ثم عضوا بالبرلمان ؟!

كلا. ذلك شئ لايطاق . يجب ان يهرب قبل ان يأتى ذلك اليوم الكئيب .. تري من ذلك الذى يصلح لأن يرثه ، من ذلك الذى سيصل الى البرلمان في غربال .

أيستطيع مغاوري شيخ الزبالين بكل ماله من زبالين تؤيده هناك ؟

لاأظنه يفكر فى هذا .فهو كل همه الحصول علي الأموال وشراء البيوت فى غربال . أما السياسة فلا تعنيه فى شئ .

أم يصلح لهذا الحاج سيد صاحب المخبز والذى نصب على البنك فى جهينة .أم الشيخ الشيمى البقال الكبير في الحى والذى لايعرف ان كان حاكم مصر الآن هو الملك فاورق ام حكام آخرون .

وأتته الفكرة .

طالما هو مبتعد عن الانتخابات ، ولاأمل فى وصـــوله للبــــرلمان ، ولالهيئة التحرير . فلماذا لايصنع هو المرشح

الجـــــديد . يأتى به ويقدمه لاهالى غربال . يسانده حتى ينجح . فيكون له هو الفضل عليه ، ويردد الناس حينذاك :

ـ لولا الدكتور . مانجح فلان .

لكن من سيأتى ؟

أخذ يستعرض اسماء من اهالى غربال . لم يعجبه أحد . ثم قام فجأة أضاء المصباح ليستطيع ان يرى فكرته جيداً .

كان قلقا ، خرج من حجرته . سار بضع خطوات ، حتى الحجرة التى ينام فيها عباس . كان نائما . فاتحا فمه كأنه يحتضر ..

« أهذا يصلح للانتخابات حقا ؟؟! »

(٥)

شد المعلم ابوزيد نفسا طويلا من الشيشة أمامه . ثم نظر حوله في حيرة . الولدعزب لم يأت للان . نادى فى عصبية علي « أبو دومة» صاحب القهوة .. فجاءه مهرولا . وجهه أسود به بثور ، وأنفه مفلطح . ورداءه مبتل دائما فوق الصدر .

كان مازال يمضغ قطعة الأفيون التى أعطاها له أبوزيد :

ـ الولد عزب لم يأت . أرسل اليه أحد صبيانك ليناديه .

أسرع ابو دومة . ناداه أبوزيد ثانية :

ـ تعال .

عاد مهرولا :

ـ أياك ان ترسل اليه فى بيته .أمه وأبوه لايعرفان شيئا .

أومأ الرجل برأسه ودار عدة دورات . ثم أسرع ليبحث عن صبيه ليرسله .

تقع قهوه ابو دومة فى الشارع الكبير . من خلالها يستطيع أبو زيد ـ وهو جالس ـ ان يرى بيت خضرة . ويرى الجبل الذى يعلو الحارة .

يتخذ الزبالون من القهوة مقرا لهم . يجلسون خارجها وبداخلها . في الممر الطويل كنتؤ . يتخذ مغاوري من ذلك الممر مجلسا لاجتماعات (جمعية الزبالين) يصدر من خلالها قراراته بوصفه شيخا عليهم .

وفى الأيام التى لاتكون فيها اجتماعات ، تشغل للمكتب الزينبى الذى أسسه الشيخ جابر ، وأستطاع ان يضم اليه الكثيرين من اهالى الحى، و القليل من الشباب . يحكى لهم عن السنه المحمدية . وعن بعض تعاليم وشرائع يؤمن بها الشيخ .

جاء عزب . قال ابو زيد مبتسما :

ـ تأخرت ياعزب قلقت عليك .

جلس عزب دون قول . كان يرتعش، أخرج من سترته نقودا كثيرة . وضعها فوق المائدة . أبتسم ابوزيد . ضمت اصابعه النقود في لذة .نادى على «ابو دومة »

ـ واحد شاى للمعلم عزب .

هذه اول نقود تلمس أصابعه من بيع الأفيون ، منذ ان خرج من السجن .قال وهو يعد النقود، ويبل أصبعيه الابهام والسبابة من وقت لآخر :

ـ عفارم عليك ياولد ياعزب .

ـ لكى تعلم بأننى أستطيع ان أفعل أى شئ تريده .

ـ لاتؤاخذنى كنت متخوفا منك ، قلت «ذلك لايصلح للأمور الكبيرة » أصلك ـ لاتؤاخذنى ـ تلميذ .

دس أبوزيد فى يده بعض الجنيهات أخذ يعدها عزب في أناة . ثم وضع ساقا فوق ساق وأخذ يشرب الشاى .

نظر حوله ، آه لو علمت أمك بانك كنت تجالس أبو زيد . ستصرخ . ولن تفلت من علقة من أبيك . سيقسم بألف يمين بأن تترك البيت ..

فما بالها لو علمت انك أخذت الأفيون من أبى زيد وأعطيته للتاجر فى «سوق عقداية» .

انت التلميذ الذى تتباهي بك أمك . ولايكف أبوك عن الحديث عنك فى العمل . ماذا تفعل والنقود لاتأتيك الا نادرا .؟أبوك لايدفع لك مصروفا . والسير مع حارة يحتاج لنقود . الى متى ستظل تأخذ من حليمة العالمة . انك لاتقدر أن تقول لحارة عن نقلك للافيون . فهو سيغضب . سيعارض هذا بشدة . لايرضى لك بان تسجن ،

* * *

لم يكن الشيخ جابر من عائلة متدينة . فأبوه لم يركع ركعة واحدة . وأمه لم تصل الا بعد ان ألح عليها الشيخ جابر . لكنه فجأة تحول الى شيخ . فأطلق لحيته وأرتدى رداء أبيض ، ولفة خضراء فوق رأسه .

يقولون انه قبل ذلك كان فاسقا . لايعمل معه مساعد في الزبالة ـ

من الصغار ـ الا وضاجعه . أو حاول هذا معه . وان أمه عندما أحست بأن أهالى الحى يتحدثون عنه بذلك . سافرت الي جهينة . وأتت له بزوجة يبالغون فى مدى جمالها . لكنه لم يقربها . ويؤكد البعض بان هذا كان انتقام الله منه . بسبب الاطفال الذين آذاهم . فقد حاول معها فى أول ليلة مرات . لكنه خاب . ويقول البعض ان كل تلك الاتهامات للشيخ . ليس لها واقع . فهو لم يقرب الأطفال ولاالنساء ، وانه كان شيخا ورعا حتى وهوطفل يحبو ..فى الصباح وهو ذاهب الي عمله ، يضع قطعة قماش حول لحيته ويربطها فوق رأسه حتى لاتؤذى الزبالة لحيته . يجلس داخل العربة ، يتفرغ للتسبيح والبسملة .ومساعده يقود العربة متجها الى قسم الزبالة .

فى المساء يرتدى الشيخ قنطانه الأبيض ولفافته الخضراء ، يحمل عصاه الطويلة المنتهية بقطعة معدنية بيضاء . يقول مريدوه انها من الفضة .. وفى لحظات التجلي . يستبدل العصا بسيف . يلوح به فى الفضاء . معلناً ، انه سيحارب الكفار .ويسخر البعض منه .ثم بمرور الوقت . استطاع ان يميلهم اليه . خاصة عندما رأو ا مفاورى ـ شيخ الزبالين ـ يحسن معاملته ويقربه اليه فى اجتماعات الجمعية . ويوصي كل من يلقاه ـ منهم ـ بأن يحسن معاملته . فهم لايعيشون الا ببركته . وفى اجتماعات الجمعية . يصيح الشيخ غاضبا :

ـ ان سبب مطاردة شرطة المرافق للزبالين ان أكثرهم كافرون .

لايصلون ويسبون الدين .

ويغمغم البعض مؤكدين قوله . واذا ماطلب مغاوری منهم بأن يدفعوا نقودا ليرسلوا تلغرافات الى محافظ الاسكندرية ومدير الأمن . يشكون لهما تعسف شرطة المرافق . التى يسمونها «الطوربيل » لمطاردتهم بسيارة نقل كبيرة تحمل أمتعتهم ـ يثور الشيخ محتجا . :

ـ الشكوى لغير الله مذلة . نشكل وفداً ليسافر الى القاهرة باسم المكتب الزينبى . نذهب الى السيدة زينب . ونسألها العون والمدد . وهى لن تخيب رجا ءنا .

* * *

لم يعد الدكتور يعمل فى عيادته . على أهالى غربال البحث عن طبيب آخر .فهو ـ الآن ـ متفرغ تماما لمشروعه العجيب . أن يجعل عباس مرشحا لغربال .

فليكتبوا فى جرائدهم ما شاء لهم أن يكتبوا . ليكتبوا عن هيئة التحرير .ويملأوا الدنيا ضجيجا فى مذياعهم . وفى عربات الآستعلامات . فهو الآن شريك لهم .

الولد عباس ـ صنيعته ـ تمثاله الذى صنعه بيديه ـ سيكون مسئول فى هيئة التحرير الحى . ثم بعد ذلك عضوا فى البرلمان .ذلك يحتاج الى مجهود . الولد عباس مازال «جلفا » لايعرف شيئا عن السياسة . ، لايعرف شيئا عن غربال ورجاله .أهالى غربال فى حاجة لمن

يقنعهم بأن عباس هذا بديل للدكتور ، وانه يمثل جهينة فى مصر كلها .

هذه الأشياء حولت الدكتور من التعاسة الى السعادة ، هجرته السحابة القاتمة ، والسأم الذى كان يحوم حوله .أدار قرص التليفون . ذلك الزبال مغاورى ـ زعيم الزبالين ـ إلههم الأكبر ينام فى شقة بالابراهيمية وهم يحملون قففهم وزبالتهم فى عناء . مازال الدكتور يذكر رقم تليفونه . وأرقام تليفونات كل عظماء غربال (الحاج سيد والشيخ الشيمى وغيرهما) على هؤلاء ان يأتوا ليبايعوا خليفته زعيمهم الجديد .

ـ آلو . المعلم مغاورى موجود ؟

ـ ....

ـ من أنت ؟

الخادمة ؟ لمغاورى الزبال خادمة ؟

ـ أيقظيه من نومه حالا قولى له « الدكتور الجهينى يريدك »

* * *

وضع مغاوري سماعة التليفون كأنه يحتضر ، يرمى يده لآخر مرة يتثاءب .. يقاوم رغبته في مزيد من النوم .

من خلال الباب الموارب لحجرة النوم . يأتيه جسد امرأته . لعنة الله على جهينة كلها . ماذا يريد الدكتور منه الان . لقد ترك لهم غربال . لايزورها الا اذا أراد ان يجتمع بالزبالين ـ رعاياه ـ او إذا أراد أحدهم ان

يبيع (منطقة الزبالة) التى يمتلكها لآخر . فيذهب مغاورى للتصديق على العقد.

مل مغاودى تلك المهنة القذرة . لا من أجل قذراتها . أو من رائحة العفن فيها . فيده لاتمتد الى الزبالة الآن .عماله الكثيرون يكفونه شر هذا ، لكنه ملها من العناء الذى يقاسيه فى هذه الأيام ..

شرطة المرافق تطوف شوارع الاسكندرية كلها ، تأخذ أشياءهم وتقودهم الى أقسام الشرطة بطروبيلها . بوليس الآداب يطارد عمالهم ، يأخذونهم لاقسام الشرطة لانهم يجمعون أعقاب السجائر المتبقية فى الزبالة .

كل هذا منذ ان قامت الثورة . لم يكن موجودا قبلها طوربيل ، ولابوليس آداب تطارد عمال الزبالين . حتي اذا نشطت الشرطة فى مطاردتهم أيامها . يلجأ مغاورى ، الى الدكتور الجهينى الذى يذهب الى مدير الأمن . يشرب معه فنجان قهوة . وبالتليفون يعود كل شئ كما كان . يرتعد ضابط البوليس عندما يعلم ان هؤلاء الزبالين هم رعايا منتصر باشا وزير الداخلية .

لكن الجهينى ترك البرلمان بعد أن فعل قريبه فعلته ، وماعاد لهم ظهر يحميهم .

ماذا يريد الدكتورمنه الان . أنه غير قادر على ان يعود مهابا كما كان ..فليدعه لامرأته التى لاتشبع من المال . لولاها لترك مهنة الزبالة

نهائيا وعاش على «ريع» املاكه الكثيرة فى غربال . لكن حاجتها الى المال تضطره للبقاء .

كان قد رآها فى الابراهيمية . أرملة تسير بجسد يرتج معه الشارع كله ... عيون البوابين تطاردها ..

صديق هو للبوابين . يحتاج اليهم حتى لايضايقون الزبالين عماله ورعاياه . رأته فى ردائه الأنيق وقبعته الخواجاتى . لم تصدق انه زبال. واقعية هذه المرأة . آمنت انه رغم كونه زبالا . الا أنه ـ خير الف مرة ـ من موظف كبير . قالت :

ـ مادام سيسد فمها وفرجها . فلا مانع من الاقتران به .

ترك زوجته الوافدة من غياهب جهينة . القابعة بصبر فى غربال . والتى ترضى بما يعطيه لها من وقت لآخر . السمنة والسكر أهلكاها . جعلاها لاتفكر فى شئ سواهما .

ويرتع الولد صديق فى غربال على مدده . ولي عهد لمملكة الزبالين ، يخشاه الكثيرون هناك . يأتمرون لأمره . يتشاجر كثيرا . يأتى الكثيرون الى الابراهيمية شاكين . يركب الموتسكل . ويذهب الى منطقة الزبالة ليباشر العمال هناك .

البوابون يتغامزون :

ـ أنظروا الزبال . ماذا يركب ؟!

قالوا هذا للسكان . فدفعوا أجرة أقل من كل شهر.

أستيقظت امرأته . تثاءبت ، بحثت عنه . قالت :

ـ من المتحدث ؟

ـ دكتور قريبي .

ضحكت وقالت ساخرة :

ـ لك أقارب دكاترة ؟!

نظر اليها في صمت .

* * *

يرتدي مغاوري قبعته وقميصه ذا الأكمام القصيرة . وشبشبا. وجهه شديد الاحمرار ، كأنه خواجة حقيقي .

وجد الدكتور جالسا في طرقة عيادته الطويلة وأمامه مقاعد كثيرة خالية .

ـ شهور طويلة لم أرك يامغاوري .

« أجلس يارجل سنعيد من جديد لعبة السياسة . انني الآن بلا ظهر . منتصر طريد . ولا أحد أعرفه له صولة . لكن لابأس . فلنبدأ من جديد . أعدك بأنني سأعيد الى جهينة مكانتها كما كانت »

شرد مغاوري خلع قبعته . مسح فوق صلعته الصغيرة .أنا وأنت لا يختلف أحدنا عن الاخر .كلانا من جهينة . وكلانا يتخذ من غربال مقرا لرزقه . انت بعيادتك وأنا بزبالي ، رعاياي . كلانا كالسائح يعيش خارج غربال .

ـ ماذا تري يامغاوري فى عباس ابن أخى؟

ماذا يريد منه ان يقول . أيقول انه يابس كبعض عماله الذين يأتون من جهينة ليحملوا الزبالة فوق أكتافهم .

ـ فى أى شئ تريد رأيى فيه ؟

ـ تعلم أننا منذ أن تركنا السياسة ونحن فى حاجة الى من يسندنا لدى الحكام الجدد .

ـ حقا . لكن ماشأن هذا بابن أخيك .؟

ذلك الزبال لايريد أن يفهم .

ـ نقدم احد رجالنا فى الإنتخابات القادمة .

ـ أجل . لكن ابن أخيك يستطيع ان يفعل هذا ؟!

ـ ولم لا ؟!

ـ أيستطيع ان يكون الدكتور الجهينى الذى كنا نفعل كل شئ ونحن واثقون انه وراءنا ؟

ـ لم لا؟!

ـ كيف . لقد كنت متعلما .

ـ السياسة لاشأن لها بالعلم .

ـ كان وراءك منتصر ، وزير .

ـ سنجد حتما منتصرا آخر . المهم ان نبدأ .

تململ مغاورى ، أعاد القبعة فوق رأسه :

زوجته الجديدة جسدها رائع .عيناها واستعان لايملأهما شئ . شرهة . والأخرى ــ رغم البدانة والسكر . ورغم ولدها صديق الذى يشبه البغل ــ لو زرتها مرة واحدة كل عدة شهور ــ ستأتى بطفل جديد بعد شهور قليلة .

النقود تذهب الى شرطة المرافق والمباحث وملاحظى البلدية . كل شهر مخالفات بعشرات الجنيهات . هذا غير سرقات صديق ، يجمع الأجرة من السكان . ويحشش بها مع أصدقائه .

ــ أننى متخوف يادكتور .

ــ الا تطمئن لى .أننى أفهم فى السياسة جيدا . لم أطبخ طبخة ورميتها .

أعاد مغاورى خلع قبعته ثانية .

ــ انت فى حاجة لسند لدي الحكام الجدد .

سيبدأ عباس صغيرا وسيكبر . سنفيره مكانة جهينة وسنرفع رأسنا بين أقراننا فى الصعيد الذين يسخرون منا الآن ، يقولون (راحت عليكم)

ــ موافق يادكتور . وتحت امرك ،

(٦)

يجلس عزب وحارة ـ كعادتهما ـ فوق درجات المسجد ، لمح عزب مغاورى ومعه شاب يرتدى بدلة . قال عزب :

ـ انظر ياحارة . مغاورى معه أفندى غريب عن الحى .

قال حارة وهو يحاول ان يراه بعينه الواحدة من بعيد :

ـ لعله من العاملين فى «الطوربيل » . يأتى به مغاورى الى هنا ليرشيه .

أقترب مغاورى والشاب منهما .

قال عزب لحارة فى صوت خافت ، وفي دهشة :

ـ انه عباس الذى كان يجالسنا على«السلالم » .

قال حارة فى صوت أكثر خفوتا :

ـ نظف .

قال مغاورى مقدما عباس لهما :

ـ الاستاذ عباس الجهينى مرشح هيئة التحرير . لستما في حاجة لأن أوصيكما عليه .

قال حارة :

ـ أجل .

كان عباس يبتسم فى حياء . قال حارة بعد أن ذهبا :

ـ ركب اسم الجهينى هو الآخر.

أكمل عزب :

ـ ورث أزهار عن عمه . وها هو سيرث هيئة التحرير والبرلمان .

سارعزب ناحية حليمة العالمة وبقى حارة وحده بعينه الواحدة يرى الشارع أمامه . ستتلطخ الجدران من جديد . وتتشدق الحناجر بالكلمات .. كلمة «الجهينى» تاهت ثم عادت . والى رجل لم يمر عليه فى غربال سوي شهور قليلة . وانت ياحارة كما أنت .

من يستطع ان يعبر عن غربال خيرا منك . انت ولدت فوق أرضها على كوم زبالة فى أهم حواريها . تعرف لون العيون ، تدويرة ثدى كل امرأة فى الشارع . بعين واحدة حقا لكنها كافية لأنْ ترى كل شئ ، القلق الذى يتحير داخل الصدور من أجل عناء رجل لايعمل .

قرأت فى مكتبة البلدية عن القانون . حضرت جلسات المحاكم . كنت تبقى قروشا لتشترى بها سجائر للحاجب ، حتى لايعاملك بقسوة .

قررت ان تعمل صبي محامي . لحبك لهذه المهنة ولأنك تجيدها . لكن

المحامين لم يرحبوا بك . يتشاءمون من الأعور

جمعت أوراقك استعدادا لعمل بحث تاريخي عن غربال ، عن احزان الزبالين فيها . كتبت بضع صفحات ثم أقفلت عن هذا .

شد طرفي تفطانه وقام. يذهب وهو الاخر الى امرأته . بلهاء . يظنونه بلا امرأة .

امرأة بدينة عجيزتها كبلون منتفخ . تسكن الدور الأرضي في بيتهم . زوجها يطلبه دائما ليكتب له بعض الشكاوي ضد الشركة التى كان يعمل بها.

الرجل شديد النحافة يسعل دما . عندما يسير يميل بجانبه الأيمن. تنظر زوجته «بمبوزيا» الى حارة . والرجل يستند بعناء على جانبه فوق السرير :

ـ اكتب ياحارة . أليس حراما ان أحال الى المعاش وانا مازلت فى الخمسين لأننى مريض الآن . اكتب ياحارة .قل لهم ان الظلم حرام ، ما أخذه من المؤسسة الاجتماعية لايكفنى .. أكتب ياحارة.

ويكتب حارة . وعينه تتابع المرأة المبتسمة دائما

ويئن الرجل . وحارة يتوقف عن الكتابة . يسمع ولايكتب .

ـ لقد عرفت الموضوع وسأعد لك شكوى ستنهى كل مشاكلك .

ـ اجل ياأبنى . لقد تعبت . أعملى شايا يابموزيا لحارة .

فى أول الشهر يذهب حارة مع بمبوزيا الى المؤسسة الأجتماعية .

يصرفان معاش الرجل .

زوجها غير قادر على السير الطويل . يكتفى برحلة عناء من السرير الى «الزلطة » الكبيرة بجوار دكان بخيت الحلوانى .

تصرف المعاش وتعود ثانية .

ـ الرجل ما عاد بقادر ياحارة . يسعل دما طوال الليل ، قرفت .

وحارة شارد، ينتظرها حتي تلم جسدها الضخم لتسير بجواره .

ـ زوجك يقف عقبة في طريقنا . قولي له أن ينهى كل تلك الشكاوى ، يقدم على صرف المكافأة ، مبلغ كبير من المال تصرفيه انت بدلا منه ، نأخذه ونهرب . نتركه لسعاله الذى لاينتهى .

ـ يا حارة دماغه ناشفة . كما أننى أخاف ان أسرق ماله .

عندما دخل حارة الحجرة ـ هذه المرة ـ كانت بمبوزيا تحيك قميص نوم ممزق .وزوجها نائم . ووجهه للحائط . يرسل غطيطا منتظما . يُسمع من خارج الحجرة .

وقفت مبتسمة لرؤية حارة . نظرت الى زوجها فى خيفة وترقب . أقترب حارة منها . وضع يده على خدها . قبلت يده .

ـ الولد عزب منه لله . كنت جالسا فى أمان الله رأيته يذهب الى حليمة العالمة . لم أستطع الا ان آتي اليك .

مازالت تنظر الى زوجها فى خوف . شدته من يده خارج الحجرة قالت :

ـ أذهب ياحارة الآن . قد يصحو الرجل فجأة .

* * *

تكلف الدكتور مبالغ كثيرة لاعداد عباس . ساعده مغاورى ، حصل على مبالغ كبيرة من الزبالين ، ومنْ الحاج سيد والشيخ الشيمى .

اشترى عددا لابأس به من البدل . وأوصاه بأن يستحم كثيرا فى هذه الأيام وأن يستخدم « اللوف » والصابون المعطر فى استحمامه . وان يستخدم دهانا لشعره ، قال له :

ـ ان صورة المرشح هامة جدا .

وأشترى امتارا من البفتة . لافتات . دفع مبلغا ـ مقدما ـ لصاحب مطبعة في شارع راغب . لاعداد اللافتات الورق . وعليها صورة « عباس» .

يجلس عباس كعروس خجلى تستعد ليوم الزفاف . تجلسها الماشطة لتزينها .

لايدرى أى شئ عما يفعلونه به .

هو قادر حقا على التكلم . وهو يحسن الكلام اذا قال . وهو قادر على ان يبدو رجلا يفهم الأشياء حوله . لكنه لايعرف دروب وأزقة هذه الحياة النيابية التى يعدونه لها .

رغم انه مازال من موظفى الجمعية المنزلية لاهالى غربال . الا انه لايزورها الا نادرا . ليعمل الدعاية الانتخابية مع رواد الجمعية .

أخرج الدكتور شعاراته القديمة .اختار منها مايصلح لهذه الايام وغير بعض كلمات فيها لتساير زمن الثورة.أرسل الى خضرة ، فجاءته مهرولة قال لها :

ـ زماننا ذهب ياخضرة ، الزمان الآن لعباس . تعال لنعطيه تجاربنا . نرى شبابنا فيه . نصنعه معا . ونجلس لنرى ماذا سيفعل ..نملؤه بالزمبلك . ونتركه يسير .

جاءته خضرة في المرة الثانية ومعها ابنتها أزهار وكثيرات من نساء الحى . أعد الدكتور لهن تذاكر انتخابات جديدة لكى يضمن أصواتا كثيرة لعباس أرسل الى كل جهينى يسكن فى حى آخر . غير غربال . لينقل مقره الانتخابى الى غربال .

جاءته أزهار بحارة وعزب ليساعدا عباس .. كتبا عدة لافتات علي الورق وقاما بالصاقها على الجدران . طافا به شوارع غربال في المساء . حمله صديق ابن مغاورى ـ والتف الجمع حوله .

الحاجة الى نائب جديد من جهينة تجعل الحى كله مهيئا للدعاية لعباس . حاجة الزبالين الى رجل يمنع عنهم عناء رجال الشرطة والطـروبيل . وعناء بوليس الآداب الذى يطارد عمالهم ـ جامعى أعقاب السجائر .

وأبو زيد فى حاجة الى نائب قوى مثل الدكتور الجهينى، ووصى مثل منتصر القديم .يتذكر أبوزيد أيامه الأولى في تجارة المخدرات . كان

الأفيون يباع لدى «العطار» بعد ذلك حرموا بيعه وكانت أقصى عقوبه لبيعه شهور قليلة . أبتدعوا الآن التأبيدة . خمسة وعشرون عاما . عمر كامل لمجرد ان يبيع المرء أفيونا ·

حتما لو نجح عباس سيفعل شيئا من أجله ..

الحاج سيد يدخن الشيشة أمام مخبزه بالشارع الكبير . يسأل كل مشتري أمامه :

ـ أيستطيع عباس ان يبعد عني رجال التموين ؟ لقد ضقت ذراعا بهم . يزنون الخبز ، يحللون العجين .

ويعيد سؤاله ثانية :

عندما أتاه مغاوري وحدثه . أخرج من محفظته ماأراده مغاوري قائلا :

ـ حتى لو لم يفعل شيئا . فيكفيني أن يكون النائب ـ هنا ـ من جهينة .

* * *

نام عباس بعد يوم عصيب رائع .

كان منتشيا . مدد ساقيه ،شعر بألم مصحوبا باللذة . سار كثيراً وسعد كثيرا .

فلا أكتب رسالة الى أمي :

«انني مبهور ياأمي بما يحدث . صار ولدك ـ مساعد الخياط ـ

زعيما.يحملونه فوق الأكتاف . يطوفون به الشوارع . يلتفون حوله فى اجلال كأنه نبى . لو أعترضتهم الصواعق ماتركوه .

أذلك ياأمى شئ يسهل تصديقه ؟!

كان أقصى ماأتمناه ان أجد عملا فى الاسكندرية . أن أعمل صبى خياط ثانية . أقرفص على الدكة الخشبية . أحيك ملابس أهالى غربال . لكن الاشياء جاءت بطريقة أخرى .

اسم ابنك صار أغينة يرددها الرجال والنساء والأطفال . وهم سائرون ، يشترون من نقودهم البوية والأعلانات من أجلى . يعلقون اللافتات القماش ياأمى .انني سأعوض جهينة عن منتصر ذلك الذى خذلها . لاتسخرى منى . فهؤلاء الناس يصنعون بهتافهم المعجزات .

* * *

لم تكن هناك متاعب لوصول عباس الجهيني الى هيئة التحرير . فالمتنافسون قلة وأهالى جهينة في غربال كثيرون .

والدكتور رغم متاعب السكر والضغط بذل مجهودا كبيرا لانجاحه

دار معه شوارع غربال . كان يبتسم بدلا منه للوجوه .يشد على الأيادى :

ـ عباس هو الدكتور الجديد . هو أمل جهينة .

وقف الناس احتراما لعباس ،صرت ياعباس أكثر اهمية من عمك نفسه ... حملة صديق بن مغاورى ، داروا به شوارع غربال .. دار الطبل

الصعيدى معهم . ورقصت خضرة وبعض النسوة . أمسك أبو زيد عباس من يده وقال له بعد ان تركه الرجال :

ـ عشاؤك اليوم عندى .

من الغد سيكون مسئول هيئة التحرير فى الحى كله (غربال وشارع راغب وجزء كبير من كرموز) ستكون له الكلمة . وستكبر تلك الكلمة الى أن يصل الى مكانة الدكتور .

ردد ابو زيد لنفسه :

«فى عينى هذا الولد كل ماأقوله من آمال . الطريق واضح فى عينيه»

قال عباس :

ـ سأذهب مع عمى الى كليوباترا لاستريح .

قال أبو زيد محتجا :

ـ من اليوم . لن تفارق غربال . لن تنتهى مشاكل الزبالين .

أعدت أزهار العشاء .. لمست ساق عباس طرف ثوبها . قالت له :

ـ صدقنى . لقد بكيت فرحة عندما علمت بنجاحك .

عليك ان تحلم الان احلاما تتناسب مع ماأنت فيه . كنت تستكثر أن تحبك امرأة مثل هذه . لكن الآن صدق هذا . بل صدق اكثر منه .أعدت ازهار الشيشة . نفخت فى النار . تراخت أهدابها . تابع عباس خصلة الشعر الشديدة السواد وهى تداعب جبهتها .

تلاقت أصابعه بأصابعها من خلال تبادل أكواب الشراب .

«أنت الآن ندا لامرأة مثل هذه .أجل دعك من قوارير الزيت في جمعية الزبالين .وأجساد الملاءات الممتلئة»

(٧)

وقف «البوكس فورد» أمام قهوة أبو دومة ، شرطى بدين يرتدى بالطو أصفر تقفز مسرعا ، وثلاثة آخرين تقفزو ا خلفه . أسرعوا ناحية الرجال الجالسين خارج القهوة .

لوحوا بعصا فى أيديهم . أمروهم بأن يدخلوا القهوة . الضابط خرج من الكبينة . سار على مهل . كان بدينا دميما .

الرجال مكومون داخل القهوة . رجال المباحث يلكزونهم فى عنف .

أبتلع أبو دومة قطعة الأفيون الموضوعة ـ دائما ـ تحت لسانه . خرج مبتسما فى أستحياء للضابط :

ـ كل شئ على مايرام ياسعادة البك .

دفعه الشرطى بعيدا . مازال أبو دومة يبتسم .

أنزوى أبو زيد فى ركن بعيد . وجهه أزداد سوادا . عروق رقبته نفضت صاح الضابط فيه :

ـ أين ابو زيد؟

تحرك ابو زيد فى عناء . البالطو الثقيل يقيد خطواته . لكزه شرطى بعصاه .

صاح الضابط ثانية :

ـ أوقفوا كل من فى القهوة ووجوههم الى الحائط . أجعلوهم يخلعون ملابسهم .

شرطي آخر امسك أبو دومة . دفعة ناحية صف الرجال .

قال الضابط لـ «أبو زيد» صارخاً :

ـ أخلع ملابسك أمامى .

أرتمت الملابس فوق الأرض . أبو زيد عاجز عن خلع ملابسه . ضربه شرطى فى عنف فوق قفاه . ليسرع فى خلعها . صاح الضابط :

ـ أرفعوا أيديكم لاعلى .

فتش رجال المباحث الملابس . تأففوا من عفنها . ضاق الضابط . فصفع «أبوزيد» :

ـ اين أخفيتوها ياكلاب .

أمسك أحد رجال المباحث بأبى زيد وأخرجه الى الشارع . كان عاريا الأ من سراول يغطى عورته . والآخرون ـ داخل القهوة يرتدون ملابسهم

أسرعت أزهار عندما سمعت بالخبر . وجاءت خضرة وراءها . صعدتا الي بيت امرأة تعرفانها من نافذتها يستطيعان رؤية كل مايحدث داخل

القهوة .

بكت أزهار، رجلها المسكين ينحنى لصفعاتهم فوق قفاه . أخفت وجهها عندما أخرجوه من القهوة شبه عار.

النسوة يضحكن . هلل الحشد الواقف . ساقاه رفيعتان ، سوداوان . ظهره منحن .

لعلك يا امرأة ترينه لأول مرة فى حياتك . أذلك الذليل الضائع هو أبو زيد الذى يحكى لك عن مغامراته ومقاومته لرجال الشرطة . والذى يزهو كثيرا برجولته . أين الرجولة الآن ؟أنك خجلى امام كل وجه ترينه امامك .. تريدين أن تهربى، وتسرعى .تغلقى باب شقتك ولاتخرجى منها أبدا. ذلك الضابط يلهو بزوجك . أحضر له مائدة من القهوة . وضعها رجل مباحث وسط الشارع . أمره بأن يصعد فوقها . ما ان وضع ابو زيد جسده فوقها . حتى مالت المائدة الى الناحية الاخرى ..

وقع أبو زيد على وجهه . تلطخ وجهه بالطين .

أمسكه رجل مباحث آخر وقال :

ـ قم . حاول من جديد .

أطاع أبو زيد صاغرا . صعد فى هذه المرة . سند أحد المباحث المائدة من الناحية الأخرى.

قال الضابط لرجل من رجاله :

ـ آتنى بمعطفه .

أسرع الرجل . جاء بالمعطف . قال الضابط وهو يضع المعطف فوق حافة عصاه :

ـ ألبسه من الخلف .

تصبب العرق فوق جسد ابو زيد ..« ها أنتم ـ ياأهل غربال تضحكون على رجل منكم .

يا أهل جهينة . اين الرجوله والنخوة . ؟!»

صرخت أزهار ، شدتها امها :

ـ كفى ياابنتى . لن ينفع بشئ ماتفعلينه .

عادت أزهار لهدوئها . أرتدى ابوزيد معطفه بالمقلوب . كرداء التومرجى ظهره الآن عار . قال له الضابط ضاحكا :

ـ در فوق المائدة .

سند أحد رجاله المائدة بساقه . دار أبوزيد ، كاد يقع .

أبو دومة اللعين لايصلح موائده . يشترى بأمواله قطع الأفيون التى يلوكها فى فمه .

قال الضابط لابى زيد :

ـ أرقص .

تساءل البعض :

ـ ماذا يريد الضابط منه ثانية ؟

من فوق المائدة يرى الجمع أمامه . يخليان له المكان ليستطيع أن

يرقص بمهارة .

أرقص ياأبو زيد . غربال كلها تشاهد فنك . ستصفق لك .

أكثر الواقفين ـ الذين يسخرون منك الآن ـ من زبائنك . من أجلهم تشترى بضاعتك . يضعون الأفيون فى أفواههم ينتشون . وأنت تدفع الثمن .

دار أبو زيد . أهتز . دمعت عيناه . كثيرا ماجاءوا ـ هكذا ـ ليفتشوه ، يجدون معه أحيانا أفيونا أو حشيشا . لكنه لم يقاس مايقاسيه الآن ..ذلك الضابط يلهو به .يتلذذ بتعذيبه .

خرجت آهة من صدر أزهار . أتجدين فى ذلك المسخ الآدمي شيئا تحترمينه من أجله . أتستطيعين بعد ذلك أن تجدى لذة معه فى المعاشرة أيقن الضابط ان «أبو زيد » قد نال أكثر مما يكفيه ، وأنه لو أطال فقد يخرج أبو زيد من روعه . أو أن يثور الأهالى ضده .

أدخلوا أبوزيد القهوة . ألبسوه ملابسه . ثم أخذوه معهم فى البوكس فورد . فأرتمت أزهار بعد ذلك منهارة .

* * *

جاء عباس بعد قليل . قالوا له عما حدث . أسرع الى قسم الشـــرطة .عاد وأبو زيد معه . ردد الناس في الحى يومها :

ـ لولا عباس ماكان أبو زيد قد خرج من الحبس .

حتي الذين كانوا فى القهوة . وقت القبض عليه . وتأكدوا من عدم

وجود شئ معه . صدقوا ان عباس هو الذى أنقذه من الحبس .

سأل أبوزيد امرأته :

ـ رأيت مافعلوه بى ؟

كان يود ان تقول «انها لم تر شيئا »

لكنها رأت كل شئ ، ماعادت بقادرة على ان تعطيه نفسها كما كانت بعد أن شاهدت الضابط الدميم يلهو به كقرد .

سأل ابو زيد عباسا وهما يشربان الشيشة معا :

ـ أتظن انك قادر على ان تلغى عقوبة المؤيد لتجار المخدرات ؟

سحب عباس نفسا طويلا . جلس أبوزيد على ركبتيه منتظرا إجابته في لهفة . ووجه أزهار يزداد إحمرارا وجمالا كلما أوغل فى سحب النفـس .

تتابعهما من ركن بعيد فى حجرة أخري .

أقتنع أبو زيد ان عباس فى يده الحل ، شاب صغير يصعد أولى درجات الوصول الى السادة الحكام الجدد .

قال لكل أصدقائه ـ تجار المخدرات : ـ

ـ لقد وجدت الحل وسترون .

أصر بأن يقضى عباس فى بيته عدة سهرات فى الشهر .

تعد ازهار لهما الطعام المسبك والمعطر «بجوزة الطيب» .ثم الشيشة والفحم والحشيش .

قال عباس بعد تفكير طويل . وأبوزيد مازال راكعا على ركبتيه :

ـ أجل أستطيع ان الغى المؤيد . لكن ليس الآن . لابد ان أصل درجات أكثر . حتى أكون أكثر قرباً من الحكام الجدد . عضو برلمان مثلا .

ازداد اليقين فى قلب أبو زيد ـ أخرج قطعة حشيش أخرى .. أعطى عباساً قطعة ليضعها تحت لسانه والأخرى وضعها تحت النار .

* * *

يقف عزب صاغرا . القيامة قامت . أبوه علم بأنه كان ينقل الحشيش والأفيون لابى زيد إلى تجار «سوق عقداية » لم يصدق الرجل هذا . ظن اول الأمر ان الموضوع لم يتجاوز جلسة بجوار ابو زيد على قهوة أبو دومة . تنتهى بقطعة حشيش . يضعها عزب فى سيجارة . لكن الأمر زاد عن الحد ـ ولده الذى خرج به من الدنيا . أمله الباقى يطعنه تلك الطعنة ..؟!

حادث القبض على «ابو زيد » والسخرية منه أمام كل الناس . آثار مواضيع كثيرة . أبو زيد . ومن يجالسهم ومن يعملون معه .. الخ .

وتناقل الخبر : الولد عزب التلميذ ـ ابن الناس الطيبين . ينقل الحشيش والأفيون لابى زيد .

حذر بعض الناس الرجل :

ـ ابنك عزب يفعل كذا وكذا .

كاد الرجل يجن . باع قراريط من أرضه فى جهينة من أجل ان يرى ولده طبيبا مثل الدكتور الجهينى .

بكت المرأة العجوز .شعرت بأن ذلك أسوء خبر سمعته في حياتها . لو قالوا ان ولدها قد رسب فى الإمتحان ماكانت حزنت كل هذا الحـــزن . حقيقة رسوبه كان سيذهب بأملها . بأن يكون ولدها كقريبها الدكتور الجهينى . لكن عمله هذا مع أبى زيد . سيذهب به الى السجن . سينهيه . أخذ الرجل يحجل بساق واحدة . لايدرى كيف رفع قدمه . رمى عزب بحذائة . ضربه به في وجهه ورأسه . كان الرجل يبكى :

ـ تريد ان تقتلنى . كنت أحس بالعار لأنك تعمل زبالا مع حارة . فما بالى الآن وانت ترمى نفسك في التهلكة .

أمه تقبل يد الرجل . تستحلفه ان يتركه . وعزب كأنه يحلم . أحقيقة هو فعل هذا : حمل هذه الأشياء الخطيرة . وساربها مخترقا الشوارع والحواري والأزقة إلى ان وصل إلى سوق «عقداية ؟!

كان الأجر مرتفعا . لكنه لايساوى عاقبته . انه لم ير الضابط وهو يلهو بأبي زيد . لكنه سمع عن هذا .

شئ لايطاق . لايدرى كيف أستطاع ابوزيد ان يحتمل الضابط وهو يلهو به .

تهاوى عزب . وقع الرجل وهو مازال يضربه . والمرأة تبكى .

ـ كفاك يارجل . ستقتله .

ـ ليته يموت ولايحدث له ماحدث .

الرجل لم يقرب الدخان . وكل عائلته لايعرفون المخدرات . وأهل زوجته كذلك . فماذا حدث لابنه ؟

هدأ الرجل شعر بساقيه يرتعشان . جلس هو الآخر منهاراً .

صرخت المرأة :

ـ ماذا حدث لنا ، حسدوك يا ابنى لأنك تنجح فى المدرسة كل عام .

قال الرجل :

ـ علي يمين ما يبقي هذا الولد فى الاسكندرية . نسافر الليلة الى جهينة لدى عمه .

ـ كيف . أتحرمنى منه ؟!

ـ لا أريده هنا . لو علمت انه جلس مرة مع «ابو زيد» سأموت

لم تجد المرأة سوى ان تجلس باكية .

* * *

حمل الدكتور أشياءه المتبقية فى العيادة . ليحفظها فى شقته بكليوباترا صورته وهو منحن يصافح الملك فاروق . يوم ان زار جهينة . وصورة أخرى مع النحاس و بعض رؤساء الوزارات الآخرين . وصورة له مع منتصر ابن عمه .

ترك مبنى العيادة ليتخده ابن أخيه مقرا لهيئة التحرير بعد أن أقنع

المسؤلين بذلك .

يأتى الدكتور الى مبنى العيادة مرات قليلة خلال الأسبوع . يجلس في الطرقة الطويلة مع عباس ومغاورى والحاج سيد .

بينما كان الدكتوروعباس يجلسان معاً . دخل من البوابة رجل طويل نحيف يلبس نظارة . أقترب منهما . عندما رآه عباس تذكرة علـى التـو .

تذكر جلسته الوقورة فى دكان بخيت الحلوانى . وقتما كان مرسى وبخيت الحلوانى يتباريان حول مقدرة كل منهما فى السيطرة علي النساء .

وقف عباس مرحبا :

ـ أهلا . سعد أفندى.

صافح الدكتور . ثم جلس بينهما . قال للدكتور :

ـ انا سعد أفندي . أعمل فى المحافظة . ألا تعرفنى ؟

قال الدكتور مبتسما :

ـ ومن فى غربال لايعرفك .

إستأذن الدكتور بعد لحظات . تاركا عباس لسعد أفندى .

قال سعد :

ـ منذ وقت طويل وان أحاول ان أجلس معك جلسة طويلة . فقد أحسست عندما رأيتك في دكان بخيت الحلوانى . انى فى حاجة لأن

أتصل بك ..فأنا سأعجبك . وستستفيد منى الكثير . (تمخط فى منديله . ثم أدخله سترته) لى تجارب كثيرة . ولى معارف أكثر . بحكم عملى فى المحافظة . فلابد ان يحيينى المحافظ في الصباح . وفى آخر النهار عندما يذهب الى بيته (أخرج علبه سجائره . قدم سيجارة لعباس) وأتت الفرصة . فلدى ابنة أحسنت تربيتها .حاصلة على الإبتدائية . أراد الولد حسن ابن مرسى العربجى ان يتزوجها . عارضت هذا بشدة . ولد شقى .يسكر ، ويتشاجر كثيرا . ثم جاءها ابن الحلال . صديق بن مغاورى . قلت ياولد لاتمانع . فالبنات ليس لهن سوى الســترة ،فجئت اليوم لأدعوك لحفل الخطوبة . يوم الخميس القادم .

أخذ سعد افندى يحكى عن تجاربه الكثيرة . وجلسته امام المحافظ واضعا ساقا فوق ساق ، يقف المحافظ ليشعل له السيجارة . وهو جالس

أستأذن سعد أفندى في الانصراف بعد مايقرب من ساعتين . ذهب عباس الى الدكتور ـ الذى كان مستلقيا فى الداخل ـ قال عباس في ضجر :

ـ انه لايكف عن الحديث والتمخط .

ضحك الدكتور سائلا :

ـ ماذا يريد ؟

ـ يدعونى لخطوبة ابنته يوم الخميس القادم .

إعتدل الدكتور قال :

ـ أهتم بهذه الأشياء . اذهب الى الأفراح . وواسهم فى الموت . هذه

الأشياء هامة للوصول الى قلوبهم .

* * *

يجلس مغاورى فى تأفف . ينظر الى الأشياء أمامه فى ملل .صديق ولده يتحرك فى خيلاء . يأتي المدعوون . يتسامرون . وحده ـ هو ـ يفكر .. امرأته آثرت البقاء فى «الابراهيمية » على ان تأتى لحضور خطوبة ابنه ..

قالت :

ـ" لاآمن على نفسى فى غربال . قد تأتى زوجتك الأخرى لتضربنى". وأم صديق ـ هى الأخرى ـ لم تحضر . فقد أقعدها المرض عن الحضور. لم تكن موافقا فى تلك الزيجة . فسعد أفندى كثير الحديث عن نفسه .. يرددالحى كله أحاديثه عن المحافظ فى سخرية .أراد مغاورى ان يزوج ابنه لبنت الحاج سيد صديقه . أقل جمالا من ابنة سعد افندى . لكنها اكثر مالا .

يسرق صديق مالى (أجرة سكن بيوتى فى غربال . وأجرة حمل الزبالة فى« الأبراهيمية » وينفقها على ابنة ذلك الكثير المتمخط)

عندما جاء المأذون . أصر سعد أفندى ومغاورى أن يكون عباس شاهداً على عقد الزواج ـ وان يذهب للعروس بنفسه ليأخذ موافقتها .

ذهب عباس ومعه سعد أفندى ومغاورى كانت ملكة تجلس وسط

صديقاتها والمدعوات ـ من النساء ـ آيه فى الجمال . وجه شديد البياض، عينان واسعتان

عاد عباس . صمت طويلا . ثم قال لنفسه :

«ذلك البغل ـ صديق ـ سيتزوج من فتاه جميلة حقا »

(٨)

تأكد الدكتور من أن عباس يرتدى ملابسه علي خير وجه . ضبط بيده رابطة عنقه أعاد عليه تعاليمه التى يرددها طوال ليلة أمس . فاليوم موعد اجتماع هيئة التحرير على مستوى محافظة الأسكندرية .

أوصله الدكتور بسيارته الى مكان الاجتماع . ووعده بأن يأتيه . منتظرا بسيارته بعد عدة ساعات .

راقب عباس حديث المحاضر . مدعيا فهمه لكل مايقال (هكذا أوصاه عمه) تابع الحاضرين فى اهتمام . سمع بعض الجالسين يهمس لزميله :

ـ ها هو بهجت بك .

ـ شقيق «ل» ؟!

ـ أجل .

أمتدت رقبة عباس لتتابع وجه بهجت ، وجسده الممتلئ . أنفه العظيم الأرتفاع . أنه يشبه «ل» كثيرا . لم يلتق عباس بـ «ل» يوما .

لكنه يرى صورته كل يوم بصدر الصحف والمجلات .

«ل» ، وهو أحد الرجال البارزين فى مجلس قيادة الثورة . آه لو أستطعت الوصول لبهجت هذا .

عمك الدكتور يقول دائما ، انه لابد من وجود رجل يساندك ، له صولة وقوة .

بعد أن انتهى المحاضر من كلمته . سعت الأيادي للإلتقاء بيد بهجت بك . ابتسم ـ هو ـ فى عظمة . يحاول ان يقلد اخيه . يشد قامته مثله .

أبتسم عباس . أرتعشت شفتاه وهو يقول :

ـ انني سعيد للقاء سيادتك . ذلك ماأتمناه منذ وقت بعيد .

أى زمن أيها الكاذب . وأنت لم تسمع عنه الامنذ أن أصبحت مسئول هيئة التحرير فى غربال .

ابتسم لك في ود . جلست بجواره . تابعت ملابسه فى حذر . لم تسمع أى قول آخر .

سرت خلفه وأنت خارج . صافحته ثانية . لعله أستأنس قولك . فقد قال فى ود :

ـ أرجو أن تزورنى بمكتبى فى أى وقت .

* * *

أرتدى عباس ملابسه فى أناة . تأكد من وضع كل شئ في مكانه

المناسب . أوصى سعد أفندى ـ صديقه الآن .بأن يشترى له زجاجة عطرذات ثمن مرتفع . ورابطة عنق تناسب البدلة الجديدة . لم يقل لعمه الدكتور عما حدث . عليه من الآن ان يتصرف بنفسه . فهو ليس دمية يحركها عمه كما يشاء .

هرب من عمه . ترك شقته في كليوباترا . أستأجر له سعد أفندى شقة صغيرة بحى العطارين .

أستقل تاكسيا . أعطى للسائق عنوان بهجت بك . الذى أحضره له سعد أفندى .

خدمات سعد له الآن لاتحصى . عمله في المحافظة يساعده كثيرا .

وقف التاكسى أمام مبنى كبير ., دق قلبه في عنف . وهو يدق جرس الباب . يشعر بالرهبة من اللقاء .فتح الباب له أحد السعاه .

قال عباس في وجل :

ـ البك موجود ؟

أدخله الساعى حجرة داخل حجرة .وقف بهجت مرحبا . أجلسه أمامه .. قدم له سبجارة . لايعرف اسمها . فقد كان الأسم مكتوبا عليها «بالأفرنجى »

قال بهجت :

ـ الحق .أننى أرتحت لك عندما حدثتني فى اجتماع هيئة التحرير. فليذهب عمك الى الجحيم بنصائحه . ها هو بهجت شقيق «ل» الذى يرج

مصر كلها الآن ، يرحب بضيافتك .

قال عباس :

ـ أريد ان أستفيد من خبرة سيادتك . وان أتعلم من كفاحكم من أجل مصر .

أى كفاح أيها الشقى . لولا أخوه ماكان قد سمع به أحد .

ضحك الرجل . أهتز جسده الكبير ، أنتشى من حديثك . سيحدثك الآن عن كفاحه فى العمل داخل صندوق الموتسكل . ومتابعة البنائين. ومرتكبى مخالفات أشغال الطريق . وأخذ الرشاوى .

أى كفاح أعظم من هذا . الأسكندرية كلها تعرف ماكان يفعله قبل ان يصل أخوه الى هذا المركز .

قام الرجل . شكرك على حسن حديثك .

* * *

مازال عمك رابضاً فى مبنى العيادة . مصر على لقائك . لم يقنع بعد بهروبك . وسعد أفندى فى عمله يجالس المحافظ . وانت للآن تجهل أغوار الأسكندرية . الى أى مكان ستذهب . البقاء فى الجمعية لم يعد يسليك . والجلوس مع الحاج سيد أمام قهوة ابو دومة . تلعبان الطاولة ، ملته ..

تأخذ راتبك كل شهر دون ان تفعل شيئا . مرتبك يدفعه لك أهالى غربال من جمعيتهم . ثمن فض منازعاتهم . والاحتكام اليك فى كل شئ

انهم لايفهمون معنى الأنتخابات التي حدثت . يظنون ان أي مكسب في أي انتخابات معناه ان الفائز فيه هو شخص هام . يستحق التقديس ...

لابد ان بهجت بك نائم للان . أمثاله يسهرون حتى الفجر . وأبو زيد مسافر . لم يقل لك الى أ ى مكان

فلتذهب الآن الى أزهار . فمازال أحساس ساقيك بلمس ثوبها يقشعر له بدنك .

ماذا ستقول وانت تزورها بلا أبوزيد . فلتحاول . فربما المرأة تريدك . أو لعلك حقا شئ هام . ان لم تكن كذلك فما معنى استحسان بهجت بك لحديثك .

* * *

دق الباب وهو يتراجع خوفا . فتحت أزهار الباب قالت مبتسمة :

ـ اهلا استاذ عباس .

يحكون ان امك كانت عشيقة لعمى . عندما كان نائبا عن غربال فى البرلمان سأكون انا ايضا نائبا فى البرلمان .أو أنت وامك لاتعطيان الأهتمام الا لمن يصل فعلا .

يمكنك ان تثق بى . سأصل حقا لقد تعرفت ببهجت بك شقيق «ل» أجل «ل» الذى يتحدثون عنه في الراديو كثيرا . والذى يبدو مبتسما فى وجهات الصحف والمجلات .

بهجت هذا قال انه يستحسن حديثى .

جلس أمامها . ولدها فتحى يعمل مع جده مرسى ،يقود له العربة ، الرجل ماعاد يرى أمتاراً قليلة أمامه .

ذهبت لتعد له الشاى . لم تعد لحياتها معنى مع «أبو زيد» . قبل دخوله السجن لم تشعر بهذا الشعور المخيف .

أرتعدت عندما علمت أنه يتاجر فى المخدرات . قالت امها عندما جاء لخطبتها انه تاجر كبير في وكالة الخضار والفاكهة يمتلك المائة والألف . لم تكن امها تعلم بتجارته للمخدرات .

خافت أزهار من رؤية الأفيون ، ثم أعتادت رؤيته بعد ذلك .

كان يحكى لها عن بطولاته فى مطاردة البوليس له لكنها كانت تجد الكدمات الكثيرة فوق جسده وهو يستحم ـ قال لها وقتها انه خسر في صفقة فحزن . فأثر الحزن على جسده .

رؤيتها للضابط وهو يلهو به ، جعلها تحس انه انسان آخر لم تره من قبل .. عندما يشاركها الفراش تشعر بالضجر . تود لو قامت فى عز الليل . وأرتدت ملابسها وذهبت الي امها . لتسير فى الحارة . تبدأ حياتها من جديد ..تلعب مع حارة وعزب . تبدأمن جديد فى أختيار زوج غير هذا الزوج العجوز الذى لاأمل فيه .

لاتجد لذة فى مضاجعته لها ، وهي نائمة تراه فوق مائدة القهوة . والمائدة تقع . فيتلقفه الشرطى ساخرا . وجسده الضامر العارى يترنح .

لم تعد تبادله الحديث ضاحكة كما كانت ، لم تعد تحكى له عن الحارة أو عن جيرانها فى شارع شجرة الدر .

اذا ما تحدث معها ردته فى ضيق . شعر هو بهذا ، وأشترى لها غوايش وسلسلة ذهب . تودد اليها . أكثر من تقديم الهديا . رغم هذا ما عادت تطيقه .

قال لها :

ـ أعلم انك قلقة . تخافى من أن أسجن ثانية وأتركك . أطمئنى . لقد وعدنى عباس بتقديم طلبا لالغاء عقوبه المؤبد لتجار المخدرات .

حتى وان الغو ا المؤبد . وأباحوا تجارة المخدرات نهائيا . لن ترتاح معه .

أكثر ـ هو ـ من تناول الحشيش . لعله يرضيها ، لكنها ازدادت منه ضيقا . رغم هذا لم تخطر لها الخيانة على بال .

يقولون عن علاقة امها بالدكتور الجهينى . فيلقولوا مايشاؤون . لكنها لن تخون نفسها . لو كان على أبو زيد لهانت منذ وقت طويل .

قال أبوزيد لعباس أمامها «انه مسافر . وسيغيب عن الأسكندرية ثلاثة ايام » رغم هذا جاء عباس اليها . قدمت له الشاى . أطال النظر اليها ..

«صديقى بهجت بك . شقيق «ل» العظيم. اننى قابع الآن فى ضعف لدى امرأة شديدة الجمال .سمراء . أهدابها طويلة .أمها كانت عشيقة

لعمى . ألا أجد لديك مددا للوصول اليها ؟ اننى أعدك لفتح الأفاق لى انت خاتم سليمان بالنسبة لى . ها أنا ايها العفريت القدير الخارق آمرك أن تجعلها ترتمى فى أحضانى .

قال مبتدئا الحديث :

ـ ألم يعد أبوزيد من السفر ؟

ـ كلا .

ضمت يديها . وضعتهما تحت ذقنها ، نامت أهدابها فى حنان ، يتذكر تلامس أصابعه بأصابعها فى بيت خضرة . وهفهفة ثوبها فوق ساقه :

ـ اننى مشغول جدا هذه الأيام . العمل كثير في هيئة التحرير . (الدليل علي ذلك . اننى أدور فى الشوارع ولا أجد مكانا أذهب اليه) المرأة لاتريد ان تصل الحديث .

ـ لقد قابلت بهجت بك . أتعرفينه ؟

ـ كلا .

ـ انه شقيق «ل» . أجل «ل» !

يريد ان يرهبها ، يشعرها بأنه قادر على ان يخطفها .ويفعل بها ما يشاء . ويقول للناس أن «ل» يريد هذا .وان ذلك عمل للصالح القومى قرارسياسى بأن تكون له علاقة بزوج تاجر مخدرات خطر . يبيع السموم للناس .

أيقنت الآن اننى لم أصل فى طريقى لشئ يذكر . فأزهار هى

المقياس . يوم أن ترضى عنك تماما ، أعلم أنك قد وصلت لما تريد .

* * *

شكا له سعد أفندى من سوء معاملة صديق - ابن مغاورى - لزوجته ملكة . فهو يتركها طوال الليل ويسهر مع أصدقائه فى الأفراح . يحشش ويسكر.

وعده عباس بأن يتحدث فى هذا مع مغاورى .

(٩)

أعد حارة كل شئ . بطاقة مزيفة باسم زوج بمبوزيا ، وفوقها صورة لحارة . وطلبات بانهاء العمل وطلب المكافأة ..

انتظر بمبوزيا فى شارع «أيزيس » كانت ترتعش :

ـ أخاف ياحارة ان يكتشف الموظفَ هذا .

ـ لاتخافى . لقد دفعت لموظف سجل مدني مبلغا من المال . وجهز لى بطاقة باسم زوجك .

ذهبا معا الى المؤسسة الاجتماعية . شعر حارة بالخوف . لكنه تمالك نفسه . هذه فرصته الوحيدة ليعيش مع بمبوزيا .يرتاح من العمل لدى الزبالين . والجلوس فوق درجات المسجد الملساء .

قدم الاوراق للموظف من خلف الزجاج . نظر الموظف طويلا الى البطاقة ثم الى حارة . قال مستفسرا :

ـ انت عبد الراضى حسان ؟

ـ اجل .

أومأ الموظف برأسه . داخل مكتبه . وقفت بمبوزيا بجوار حارة .:

ـ انا خائفة .

لم يجبها . كان يبحث بعينه عن الموظف من خلال الزجاج .

تعبت بمبوزيا من الوقوف . فذهبت لتجلس فى مقعد بعيد . بقى حارة بجوار الزجاج .

وجاء البوليس . قبض على حارة .قال له الموظف :

ـ على البوليس ان يتحرى . ان كنت عبد الراضى حسان . أم آخر غيره .

أجتمع الناس حول البوليس وهو يمسك حارة . أسرعت بمبوزيا . عادت الى زوجها ، رقدت بجواره ترتعش . عندما جاء البوليس لسؤال عبد الراضى أدعت عدم معرفتها بما حدث . ضربت علي صدرها قائلة :

ـ حارة الذى أكل عيشنا وملحنا يفعل هذا معنا ؟!

ذهب حارة . لم يعد يجلس فوق السلالم سوى الأطفال . فعزب لم يأت من جهينه حتى الان .

* * *

عاد عزب بعد ان نجح فى الثانوية . أجرى الامتحان فى سوهاج فأرسله عمه بعد ان علم بنجاحه الى الاسكندرية . .

قال أبوه مسرورا :

ـ لقد أصبحت رجلا الآن . ولن أخاف عليك.

نسي عزب أبو زيد . الصعيد أنساه أشياء كثيرة . لكنه لم ينسه حارة ..

بحث عنه . أين أنت ياحارة ؟. لقد التحقت بكلية الحقوق ، لن أحقق أمنية أمي بأن أكون طبيبا مثل الدكتور الجهيني . أحببت المحاماة بسببك . من كثرة حديثك عن القانون والمحاكم . كنت أحلم في سوهاج . بأنني أرتدي روب المحاماه وأقف في قاعة المحكمة أصرخ . وأرفع أصبعي السبابة ، وانت جالس وسط الجماهير . لكن حظك سئ ياحارة دائما . لو كنت انتظرت بفعلتك حتي أتخرج من الكليه . لكنت دافعت عنك . وأخرجتك من القضية مثلما تخرج الشعرة من العجين .

عندما قال هذا لحليمة العالمة . قالت :

ـ حارة تصاب . وليس من وثامك الآن .أبحث عن اصدقاء جدد .

ذهب مع حليمة الى الافراح . أفراح صغيرة يقيمها الهواة . يحتاجون فيها الى امرأة ــ أى امرأة ــ

تهتز حليمة أمامه . تنساه وتتذاك . يراهم يدسون في صدرها النقود (نقطة) وتهتز هي فرحة . تقف لتغنى بصوت مخنوق . تغير اللحن المألوف للاغنية التى تغنيها . ويتأوه السكارى والمخدرون . يسألونها عن عزب .تقول :

ـ أخى .

يرتبك هو . يخجل من انتسابه اليها . أحدهم وضع يده فوق أعلى فخذيها وهي جالسة . أكتفت بأن ضربته على يده ضاحكة .

فى آخر الليل يعطونها ما تستحقه . يقتسـون النقـطة . والأجـــرة .يعود عزب معها . لايسألها عما تفعله فى «الحفل » كانها لم تحس بوجوده الأ الآن . يسيران فى حوارى غربال الخاوية . تنظر حليمة فى آخر الشارع ، تطمئن الى ان ليس هناك من يراها . فتنحنى وتقبله .

يعود هو لأمه . متلصصا حتى لا يسمعه أبوه .

* * *

في اجتماع هيئة التحرير الأخير . قال بهجت بك لعباس وهو يشد على يده :

ـ لقد اخترتك رئيسا للدفاع المدنى بدائرة محرم بك كلها .

كاد عباس ينحنى ليقبل يده . لولا وجود الناس حوله .

* * *

لم تستجب له أزهار عندما زارها صباحا ، وزوجها مسافر ..يتابعها هو الآن فى نهم من خلال الدخان المتصاعد . يرى وجهها . عينيها الواسعتين . أنفها المستقيم . هذا الرجل المتآكل لماذا يصر على الأحتفاظ بها . هذه الدنيا لاتعدل . ذلك الخرب له أزهار .. اليانعة وانا لاشئ لى. بركاتك يابهجت بك . الأتستطيع ان تفيدنى فى هذا الأمر أيضا ان

تحول أبو زيد الى رماد . تسحره . تسخطه قردا .

يريدنى الأبله ان أقدم طلبا لالغاء عقوبة المؤيد . يظننى شيئا هاما في البلد . انني علي يقين من أن بهجت بك ـ نفسه ـ لو قال هذا لاخيه لسخر منه .

ملت أزهار جلستنا . فقامت لتنام .

محظوظ ابو زيد هذا . بعد هذه السهرة سينام بجوار جسد عظيم مثل جسد أزهار ، أما أنا فسأذهب الى شقتى متحسرا . مواخير المدينة لا أعرفها . عمى لم يعلمنى هذه الأشياء . ولا سعد افندى .

يقولون ان بهجت بك له فى ذلك صولات وجولات .. لعلى أستطيع ان أصل يوما لأن أشاركه هذا .

أدمنت الحشيش ياعباس . السهر هذه الايام مع سعد افندى والحاج سيد أمام مخبزه . يخرج الحاج سيد الحشيش من سترته . ويقضى الجلسة ساخرا من سعد .

سمعت عمي يقول يوما لمغاورى :

ـ الحشيش لم يخلق الا للمعلمين أمثالك . لكننا ـ طبقة المثقفين ـ نكتفى بالخمر .

لا أعلم إلى أى الطبقات أنتمى . على أى حال انا أدمن الحشيش والخمر معا ، فلأقدم مبادرة جديدة للجمع بين هاتين الطبقتين .

أبو زيد يجب ان يذهب بعيدا . يترك ازهار فى الشقة وحدها . فى

هذه الحالة . لن أخرج دون شئ كالمرة السابقة

* * *

عاد عباس يترنح .أثقل ابوزيد عليه فى الشرب . تمدد فوق فراشه العالم رائع . ملون بألوان عجيبة . امرأة سمراء رائعة الجمال أشعلت الرغبة فى جسدى .

غربال هذا رغم فقره الشديد يضم جميلات كثيرات . أزهار وملكة ابنه سعد أفندى زوجة البغل صديق .

الجزء الثانى

(ا)

رشف عدة أكواب ، لوح بيده في الهواء مناديا الساقى ..

أمسك الساقى من كمه . شده فى عنف . قال فى صوت مستقطع :

ـ أجلس بجوارى .

أنتصب الساقى ثانية ، ابتسم وأبتعد .

«حتى خضرة ـ العظام النخرة ـ سخرت منك . قالت « انها كبرت وان مشاكل ولدها حسن أهم عندها من أى شئ آخر»خضرة التى كنت تلهو بها . وتفعل بها ماتشاء هى التى تلفظك الان . شقتك بكليوباترا صارت «مزبلة» . مقاعد ملقاة باهمال . وزجاجات فارغة ملقاة فى كل مكان . وسدادات الزجاجات فوق السرير وتحت المقاعد . العربة بعتها ، ماعادت تصلح لك ، جئت بالولد عباس لتصنع منه سياسيا .تحركه كما تشاء . أنهاك . أخذ منك عيادتك ، حولها الى مكتب سياسى (مقر لهيئة التحرير) ثم الاتحاد القومى الآن :

علق فوق الجدران . مكان صورتك وأنت تصافح الملك فاروق صورة له وهو يصافح جمال عبد الناصر .

كنت تصل الى فاروق عن طريق منتصر . لكن عباس بمن يصل الى هؤلاء ؟

ايها الساقى أرحمنى ، وتعال استمع لقولى ، حتى أنت أدركت باننى ماعدت أصلح لشئ .

الغريب انهم مازالوا ينادوننى بكلمة « دكتور» .ما علاقتى بالطب الآن ؟! شهادة تخرجى كانت معلقة بجوار صورتى وأنا أصافح فاروق . عندما رفعت الصورة عن الحائط . حملت الشهادة معي . مزقتها .

ظل أهالى غربال يصرون علي انى طبيب . حاولت كثيرا أن أنكر هذا أمامهم . لم يصدقونى . الوحيد الذى جعلهم يصدقون انى لاأصلح لشئ هو عباس .

حاولت أن أبقى صاحب الكلمة فى الاجتماعات بكبار رجال الحى ـ كما كنت ـ لكنه خذلنى وسرق منى الأضواء . أيقن أهالى الحى حينذاك ـ أننى كبرت. حتى الجمعية التعاونية التى أسستها لهم . صار هو رئيسها.

وضع قطعة نقود ورقية فوق المائدة وقام . سار مترنحا . لفحه هواء البحر . تلذذ من لفح الهواء .

عليه أن يسيرمن محطة الرمل الى كليوباترا . انه لايذكر اسم الشارع

لذي يسكن فيه . يقولون ان عباس يتصل بشخصية هامة هى التى تساعده وتهيئ له كل شئ .

عباس صبى الخياط أصبح كل شئ الان فى غربال . تلك الثورة تصنع المعجزات حقا .

جلس فوق أول مقعد قابله . نام فى هدوء .

* * *

فتح الخادم الباب . قال متسائلا :

ـ منزل بهجت بك ؟

أحس بالدوار من رؤية الأشياء . فى البلدة كانوا يتهولون على شقة عمه الدكتور .. يقينا لو رأوا هذا القصر البديع لماتوا من الأنبهار .

جاء بهجت مبتسما . وضع يده في يد عباس .

شرف عظيم ان يطلبك لتزوره في بيته ـ قال بهجت :

ـ لقد ارتحت لك . واننى أثنى عليك كثيرا أمام أخي «ل» قلت له عن مجهود اتك عندما كنت رئيسا للدفاع المدنى فى حرب السويس .

أي شرف هذا يا ابن بهية . ان يذكر اسمك أمام «ل» .

ـ انا ياسعادة البك خادم لك ولاخيك .

قام متثاقلا:

ـ جئت بك الى بيتى لاخبرك بأن هناك انتخابات لمجلس الأمة . أريدك أن تشترك فيها .

جاءك الفرج . ذلك ماكنت تنتظره منذ وقت طويل . ان تكون عضوا بالبرلمان مثل عمك الدكتور ـ تحصل على راتبه الكبير ـ ومكانته الرفيعة :

ـ أجل . سأشترك .

ـ لقد ساعدتك في هيئة التحرير والاتحاد القومى . وسأساعدك فى مجلس الامة . لكن أرجو ان تتذكر هذا .

قام عباس ، أنحنى وقبل يده . ليس هناك مايضر . فليس فى الحجرة سواكما . أهالى جهينة لن يعلموا بما فعلته .

ابتسم بهجت بك :

ـ اننى أودعك لوقت حاجتك . سأحتاج اليك حتما .

ـ خادمك المطيع . كما تريدنى ساكون .

* * *

سعيد أنت الآن . كل الأشياء التى كانت تقلقك زالت عن طريقك ذهب أبوزيد الى السجن . ذهب الى المؤيد الذى كان يخافه .

وأزهار فقدت مقاومتها لك . ضعفت . لم تستطع دفع ايجار شقتها . صارت كلها ملك يديك ، الأشياء تأتى اليك صاغرة ، مسرعة ..لم يتبق سوى الانتخابات .

طاف سعد أفندى معك . ليعلم الناس ان الأنتخابات قادمة لعلك أول مرشح فى الاسكندرية كلها يعلم بهذا ،عمك ماعاد بقادر علي السير .

الخمر أضاعت قوته . أسقطت شعر رأسه كله . منظره صار أضحوكة .

لاتخف . فطالما ان بهجت بك معك فالدنيا ومافيها .

جلس بعد الطواف مع الحاج سيد وسعد أفندى أمام المخبز قلقا . النقود قليلة ،والدعاية تحتاج لمال وفير .

لم يستطع أن يقول هذا للحاج سيد . قال له سعد أفندى نيابة عنه . أنتفض الحاج سيد :

ـ لا تهتم . سنشترك أنا ومغاورى والشيخ الشيمى فى تكاليف الدعاية .

الحاج سيد ذلك الداهية . يشهدون له بالمكر . قصير القامة . قفاه مجعد .

كانت له مخازن كثيرة للقطن فى جهينة . يشترى من المزارعــــين ، يمتلك محلجاً ، ويجلس في آخر اليوم أمام جنيهات كثيرة يعطى للمزارعين نقودهم ولعماله أجورهم من خلال نافذة صغيرة كالطاقة .

أقترض من البنك قرضا كبيرا . ثم ترك أشياءه وهرب الى الاسكندرية . للان لايستطيع ان يكتب أية املاك باسمه . مخبزه الذى أشتراه فى غربال من النقود التى سرقها من البنك . كتبه باسم زوجته وكذلك البيت الكبير الذي يعيش فيه .

* * *

بدأت الانتخابات بداية سيئة للغاية . مرشح لاتدرى من أى مكان جاء . ملأ الشوارع بلافتاته . كتب على الجدران فى كل مكان «النائب الجاهل خطر مميت». ورسم جمجمة وعظمتين متقاطعتين . جاء ذلك النائب لينغص عليك حياتك . يقولون أنه محام وله تاريخ طويل فى الانتخابات.

كنت تظن ان الأمور ستمر بسهولة . وان العقبة الوحيدة هي المال لكن ذلك كيف ستواجهه ؟ انه يقصدك انت بلا شك بحديثه عن النائب الجاهل.

كلفت سعد أفندي ان يسأل عنه في المحافظة . فلعله يجد شخصا يعرف أية معلومات تفيدك .

جاء سعد أفندى ، قال :

ـ لقد وجدت سكرتير المحافظة يعرفه . كان زميله فى احدى الجمعيات الدينية ، وقالوا انه شديد الورع والتقوى . ومثقف . وله اتصالات بعيدة .

ازداد الموقف سوءاً . ليته أدخر عمه . فلعله كان سيفيده فى مثل هذه الأمور.

أجتمع مغاورى والحاج سيد وسعد أفندى وصديق بن مغاورى . والشيخ الشيمى . عرض عباس عليهم ماحدث . وسألهم المشورة .

قال صديق بصوته الأجش :

ـ الأمر غاية في البساطة أضربه لك علقة لايفيق منها الا بعد الانتخابات .

صاح مغاورى فى ولده :

ـ اصمت انت . مازلت لاتفهم شيئا .

يضع عباس أمله كله فى الحاج سيد . أالذى سرق البنك فى جهينة ، غير قادرعلى أن يحل مشكلة كهذه ؟!

قال مغاورى :

ـ اصوات جهينة كثيرة . وقد تنجح حتى وان لم تحصل على أصوات أخرى غيرها .

قال سعد :

ـ آخر احصائيات المحافظة . تفيد بأن الأغراب قد ملأوا غربال .

يشرد الحاج سيد . يصيح ساخرا :

ـ دعك من هذا الآن . فى المساء امام الشيشة والفحم الاحمر سأجد لك حلا يريحك .

قاموا دون حل .

فى المساء استقر الرأى امام الشيشة والحشيش على ان يدعو عباس بهجت بك الى غربال . ليطوف شوارع وحوارى غربال . ليزداد تمسكه بعباس . ويسانده ضد ذلك المرشح المشاغب .

* * *

قال بهجت لعباس . الذى كان يرتعش وهو يدعوه للحضور الى غربال .

ـ ان لم تدخل مجلس الأمة . سأحزن كثيرا .

خرج عباس مسرورا .

تمدد بهجت مسرورا . أى شيطان أرسل اليك هذا الانسان؟

أنه يذكرك بسائق الموتسكل الذي كنت تعمل عليه . كانت لغته صعيدية مثله . لكن الآخر كان شرسا . يطالبك ـ دون حياء ـ بجزء من الرشوة التى أخذتها .

كان العمل فى الشتاء أكثر صعوبة من الصيف . جريدة الأهرام فوق رأسك مبتلة من المطر .يتساقط بقايا الورق فوق شعرك فيمتزج به .. بيدك المبتلة تصافح المقاولين .

أكوام الزلط والرمل ملقاة في عارضة الطريق . تمد المتر وتقيس . يدك المبتلة تدفأ بنقود المقاولين . تبتل النقود معها .

تعود متعبا . لولا «ل» لبقيت الى آخر العمر هكذا . لم تكن تظن ان السعد سيأتى من جهة «ل» . بل لم تكن تظن أنه سيأتى أبدا.

لكن الايام تغير كل شئ . رؤساؤك كانوا يثورون عليك أحيانا ـ قبل مجيئ «ل» ـ الآن ينحنون وهم يصافحونك . يقولون لك «بهجت بك» يسألونك فى خجل ان تساعدهم فى حل مشاكلهم .

يصلح عباس للدور الذى أعده له . وهو بيع أراضى سيدى بشر التى

تركتها الشركات البريطانية بعد حرب ٥٦ . ستبتعد أنت . وتتركه هو يفعل ذلك .

ستحميه بالطبع . وتقنع الاخرين بالأ يلتفتوا لما يفعل .

(٣)

يبدأ السرادق من أمام مخبز الحاج سيد ، الزينات مقامة من أول الشارع وحول الحوارى المجاورة . حتى منتصف الشارع تقريبا.

يقف مغاورى والحاج يشرفان على عملية رش الأرض بالرمل والزهور التى يقوم بها شباب الحى.

أمسك سعد أفندي بحبات الرمل ورش الشارع بنفسه . ثم أنتقل للاشراف على كنس الشوارع والحوارى المجاورة . ذلك بحكم عمله السابق ـ كملاحظ كناسين ـ

أمرهم مغاورى بأن يخلوا الشارع من عربات الزبالة الكثيرة . وان يدخلوها فى آخر الحارات حتى لاتقع عينا بهجت بك عليها . وأمر النساء بأن تنظف أطفالها ، وان تلبسهم خير مالديها من ثياب .

خرج الرجال بملابسهم الجديدة . كأنهم في يوم عيد . وحرصت كل امرأة علي ان تنتهى بسرعة من أعمال بيتها حتى لايفوتها رؤية بهجت

بك ، ذلك الذى يحكون عنه .

أستأجر بعض الشباب موتسكلات . طافوا بها الشوارع والحوارى .

ثم أسرعوا الى شارع إيزيس فى انتظار سيارة بهجت بك .

جاء أحد راكبى الموتسكلات مبشرا بقدومه .

أسرع مغاورى . قامت الفرقة الموسيقية من قهوة أبو دومة . أصطفت أمام القهوة .

أحتشدت الجموع حول السرادق.

نظرت «عديلة » ـ ام حارة ـ شزرا لبمبوزيا ، عندما رأتها بجوارها قالت :

ـ تدخل ولدى السجن . ثم تأتى لتلتصق بى ؟!

كانت خضرة وابنتها في أول السرادق .

دخلت السيارة والموتسكلات حولها . بهجت بك وعباس ومسئولون من الاتحاد القومى يحيون الناس بمناديلهم البيضاء .

ودقت الفرقة الموسيقية السلام الجمهورى . وزغردت النسوة .

قالت خضرة :

ـ وجهه ليس جميلاً ـ أخوه «ل» أجمل منه بكثير .

قالت عديلة :

ـ الصور التى تروها لـ «ل» تبديه أكثر جمالاً. ولكنهن لو رأيتنه حقيقة لم أختلف عن أخيه كثيرا .

قالت خضرة :

ـ ومن أراه لك يا أم حارة ؟

لم تجبها المرأة . كانت تبتعد عن بمبوزيا .

حاولت أزهار ان تشرئب ليراها عباس . وقف مغاورى يتفحص الداخلين الى السرادق . فاذا مارأى رجلا رث الثياب أعادة ثانية :

ـ لاتفضحونا ياناس . نريد ان نظهر امام الرجل فى صورة أحسن .

وقف عباس ليخطب أكثر من ثلاثة ميكروفونات معلقة فى انحاء الحى . يجتمع أهل غربال حول كل الميكروفونات . كلمات عباس رنانة . يصف بهجت بالنبى . أو قطب آت لزيارتنا . فى كلماته أخطاء كثيرة . فيقول مثلا :

* أننا بعد الوحدة «والتكافح» لن نسمح للرجعية بأن تدخل بيننا

* أو(لى مع بهجت بك «زكريات» (بفتح الزين والكاف)

ويصفق الرجال ، وتزغرد النسوة ثانية ..

ثم قدم عباس بهجت بك :

ـ والآن ، حقيقة لاخيال . أمامكم بهجت بك يلقى كلمته .

تكلم بهجت بهدوء . والناس عنه لاهون . ينظرون الى ملابسه . والاخرون ـ حول الميكروفونات ـ لا يستطيعون فهم شئ مما يقال .

قبل ان ينتهى بهجت من القاء كلمته سمع عباس أصوات صراخ . وضحكات آتية من أول السرادق وأطفال يجرون في ضحك .

هاج الجمع . توقف بهجت عن القاء كلمته . وقف الحاج سيد ، أمر الجميع بالجلوس . قال مغاورى فى أسى لعباس :

ـ الدكتور الجهينى . سكران . والأطفال يجرون خلفه . سيفسد الحفل .

علم الدكتور بزيارة بهجت بك للحى . فزاده هذا غما . أنزوى فى بار رخيص فى شارع ايزيس . شرب خمرا سيئا . سكر فأسرع لرؤية الأحتـفال . خرج عباس مهرولا . وقف الدكتور حاملا طربوشه فى يده . وقع على الأرض وهو يطارد الأطفال ، وأتسخ الطربوش .

قالت خضرة لازهار :

ـ ماذا حدث للرجل ؟

ضحكت النسوة .قالت عديلة وهى تبكى :

ـ أهذا هو الذى عالج كل اهالى غربال ؟

ضحكت امرأة قائلة :

ـ انه لايقدر على الوقوف .

شده عباس من ياقته :

ـ تريد ان تقضى علىّ ، تريد ان تفسد حفلى ؟!

قال في توسل :

ـ أريد أن أشارك في الحفل .

قال عباس فى ثورة :

ـ أبتعد . ماذا يحدث لو رآك بهجت بك هكذا ؟!

سار الدكتور كانه لايسمع . يريد ان يقترب من السرادق .

بهجت مازل يتحدث يحكي عن رجال الثورة وبطولاتهم ـ وعن «ل» و دوره العظيم بها .

قال الدكتور لمغاوري . الذي يحاول ان يبعده عن الحفل :

ـ دعني ، أريد ان أتحدث مع هذا الرجل . صدقني لو خطبت ، سأقول خيراًمما يقول . سأعجبكم . ستصفقون لى طويلاً، سأرفع اسم جهينة عاليا .أنسيتمونى الآن يامغاورى ؟! تسيم الدكتور ومنتصر؟!

وضحك الدكتور . رجع الى الخلف . كاد يقع :

ـ ذلك منتصر جديد .

تراجعت النسوة . كاد الدكتور يكبو عى وجهه .

أسرع عباس بعد ان فاض به الكيل . أمسكه من ياقته . شده فى عنف .وقع الرجل فى الماء اللزج . التصق الرمل والطين بملابسه .

أقتربت خضرة وعديلة منه . رفعتاه . ضحك الدكتور ، وقال وهو ينظر الى خضرة بامعان :

ـ أتصدقين . عباس يضربنى . ان الذى صنعته .

ـ تعال معى الى البيت .

سار معها .

* * *

وقفت العربة الحنطور فوق الجبل . رجلان يساعدان بخيت الحلوانى على النزول من العربة . أسرعت عديلة اليه :

ـ ماذا حدث يابخيت ؟

ردد الرجل بلغة مطوطة والرجلان يحملانه ويهبطان به الجبل :

ـ احترقت ساقى ياعديلة .

قال أحد الرجلين :

ـ الصاج وقع فوق ساقه ، أحرقها . ذهبنا به الي المستشفي .وأردنا ان نذهب به الي بيته . لكنه فضل المجيئ الى هنا ،

أمتلأ الدكان بالرجال والنساء والأطفال . قالت عديلة :

ـ بيتك خير من الدكان .

قال فى أسى :

ـ لم أذهب الى البيت وانا سليم . سأذهب اليه الآن وانا فى حالتى تلك .

عادت عديلة الى بيتها ، وبقي بخيت وحده . مد ساقه ....

فى مخبز جوجي منذ صباك . تعجن الدقيق الأبيض . تقف أمام النار ..لامست بيدك كل الخدود . المصرية والانجليزية . واليونانية والسوداء . ذقت كل طعم .

تزوجت امرأة وقورة لاتعرف المزاح . تتحدث فى جدية وصرامة، أولادك جاءوا مثلها . علمتهم بنقودك . لكنها تصر أنها هى التى

علمتهم . لايذكورن لك فضلا.

لاترتاح للبقاء معهم يوما واحداً . عندما تأتيها فى المساء . وتبغى أن تمهد للجماع . تمازحها ، لاتستجيب . تريدك ان ترفع عن طرفها وتصمت .

آنست النساء في غربال . أرتحت للمسات يدك لأردافهن . حتى عديلة المرأة المتآكلة النخرة . كانت تبتسم اذا ماداعبت خدها.

أصطدم الصاج بساقك . ظننت انك تموت . تذكرت أولادك وزوجتك . لكن وددت ان تموت فى دكانك هذا ، لاتستطيع احتمال زوجتك وهى تقف منصوبة القامة . تأمر وتنهى فى جدية وانت تموت بجانبها .

آه لو تموت فى دكانك . وأولادك وزوجتك ، وكل امرأة كنت تمازحها فى غربال حولك . ستكون هذه خير ميتة ترجوها . لكن زوجتك لن تأتى الى الدكان . انها لم تره . لاتعرف سوى سماع الوعظ في المساجد . وزيارة الأولياء .

قد يطول بقاؤك فى الدكان . وتحن النسوة الى أرغفتك البيضاء وجاتوهك . يأكلون ــ هنا ــ أرغفتك دون غموس . ويسمون الجاتوه «بسطة» .

وحدك انت الآن . كلهم انفضوا من حولك . مثل الانجليزيات . واليونانيات اللآتى هجرنك .

الولد عزب هو الاخر هجر غربال . أصبح محاميا . أخذ أمه وسكن

فى حى آخر أكثر رقيا ، وحارة فى السجن الآن .

يأتيك حسن ابن خضرة ـ أحيانا ـ ليجلس معك فى الليالى التى لايسكر فيها .

* * *

أزهار فى أنتظاره ، قاومته عندما كان أبوزيد معها . وقاومته بعد دخوله السجن . لكن مقاومتها ضعفت . أبوها مرسى ماعاد يستطيع ان يساعدها كما كان قبلاً . وهى تحتاج لدفع ايجار الشقة وفي حاجة لأن تعيش .

جاءها فى أول مرة نالها فيها . جلست كعادتها معه . وجدته قد قام ولمس يدها . سحبت يدها دون قول . حاولت الهروب . لكنه امسكها وأغلق الباب . أيقنت ـ حينذاك ـ انها واقعة له لامحالة .

قاومته رغم ان مصيرها معه . وانه وان لم ينلها اليوم . فسينالها غداً.

قالت لها بعض النسوة :

ـ عباس وراء القبض على زوجك .

لم تهتم . لم تطلب الطلاق من «ابو زيد» فلتبق زوجة له . طالما ان عباس لم يفاتحها فى أمر الزواج .

دق عباس الباب .تعرف هى دقته . الان . (وكانت تعرف دقة أبو زيد أيضا) كان عباس محملا بالهدايا . سعيدا .

أشباؤه الحزينة زالت . حمل بهجت عنه الحمل الثقيل . قال عن المرشح الذى كان يصفه بالنائب الجاهل :

ـ أبشر . لقد أزحته عن طريقك .

ـ كيف ؟

ـ رفضت السلطات أوراق ترشيحه لانه شيوعى.

حقيقة ان بهجت بك هذا هو خاتم سليمان لك .

لم يتبق أمامه في الدائرة سوى مرشح عجوز ليست له عزوة . لكنه غنى جدا .

سأله بهجت :

ـ أتخاف من (الابيارى) اسم المرشح العجوز ،

ـ مادمت معى لن اخاف احد .

ـ لاتهتم . حتى وان نال كل اصوات الدائرة . فلن يدخل المجلس سواك .

جلست أزهار أمامه . نظرت الي وجهه . ليس بالجميل . جسده ضامر لكنك عندما رأيتيه والناس يحيطون به ـ يوم ان زاره بهجت بك فى الحى ـ لمت نفسك لانك قاومتيه . وددت لو كانت تلك العلاقة قد بدأت منذ أول لحظة رأتيه فيها .

تعلم أمك بهذه العلاقة (لكنها لاتعلق بشئ) . تأتي اليك احيانا وعباس في حجرة النوم . تتعامل معه كأنه زوجك . تتسين ـ فى بعض

الأحيان ـ انه عشيقك . تحسين ـ وكأنك تحلمين ـ انه زوجك. ولم تتزوجى سواه .

تذكرين جلسته معك فى«الكوشة» والناس يحيطون بكما . كانوا كيوم ان جاء بهجت بك الى الحى .

* * *

عاد حارة الى الحى .، سار وسط الشارع . لم يهتم به أحد ، تذكر يوم ان خرج أبوزيد من السجن والمزيكة تزفه كانه عريس .

خالى الوفاض . لاشئ معه . العالم من حوله تغير . زوج بمبوزيا مازال يعاند الموت . يزداد سوءاً ولايموت . وهي قابعة بجواره . لايدرى ان كانت قد وجدت لها عشيقا آخر ام لا، وعباس صارأكثر أهمية . يتخذ من أزهار عشيقة له . ولا احد يستطيع أن يفعل شيئاً . هكذا ياحارة . لابد لكل زعيم من عشيقة حتي تكتمل الصورة آه من رحلة لم تبدأ بعد ، تبدأها من جديد وانت فارغ . كأن امك قد ولدتك اليوم فوق كوم الزبالة . أعور يتشاءم الناس منك . أهدتها ـ يوم ان ولدت ـ امرأة تسكن قريبا من كوم الزبالة . «قماطا » لك . وأمك قد جاءت لك اليوم بقماط جديد .

سألت عن بيت عزب صديقك القديم قالت لأمه :

ـ الولد حارة خارج من السجن الغد . وليس لديه ملابس .

أعطتها قماطا لك ، ملابس عزب القديمة . شممت فيها رائحتة .التى

تعرفها جيدا .

العالم يدور بك دورة غادرة . ينزع الورود للناس . ويبقى لك بالشوك . عزب صديقك ــ الذى كان يتبعك كظلك . ويبهر لما تقول . صار الآن محاميا ، يعمل لدى محام كبير فى المنشية . وأنت لم تصلح حتى لصبى محام . تخرج من السجن بلا نقود . لو عادوتك هوايتك القديمة فى تتبع القضايا في المحاكم . ستجد عزب هناك يترافع .

تخلت بمبوزيا عنك .هربت من مبنى المؤسسة ، وقالت أمك انها دعت عليك أمام زوجها . مدعية انها لاصلة لها بك .

دخلت السجن من أجل امرأة دميمة . عجيزتها تزن أطنانا .. أقترب حارة من دكان بخيت الحلوانى ، الذى كان يتناول غداءه . أقسم بأن يشاركه حارة طعامه .. ساقه ممتدة أمامه ، وعارية .بها الوان حمراء وزرقاء .

أحاله جورجى الي المعاش . بعد شهور قليلة ستشفى ساقه . سيستطيع ان يقف ثانية أمام النار . لكن الخواجه ضاق به . حتى زوجته لم تعتقها ستبقي الآن فى غربال ليل نهار . ستعوض النسوة عن الأرغفة البيضاء والبسطة .

أمتدت يد حارة الى الطعام ، الشارع ملئ باللافتات . والجدران تلطخت بالكلمات .

ذلك الرجل ــ عباس ــ لايفهم . لماذا يعلق لافتات تؤيده فى حوارى

غربال . أيظن ان أحدا هنا لن ينتخبه .

الأبياري ـ منافسه ـ أكثر منه مالا . يمتلك محلات دقيق وبقالة بالجملة فى شارع راغب .

وجدت عملا ياحارة . عباس لايملك مالا ليعطيك منه . لولا نقود مغاورى والحاج سيد .مااستطاع تعليق لافتة واحدة . لكن الابيارى سيعطيك ما تريد . خاصة عندما يعلم انك من جهينة .

(٣)

أجتمع عباس بعدد من الصبية من ابناء جهينة ، وذلك بمقر الأتحاد القومي بشارع ايزيس . قدم لهم ملابس هدايا . بنطلونات قصيرة وقمصانا كاكى ومناديل ..

ـ سنكون لغربال فريقا للكشافة . وسنؤجر ناديا لتلعبوا فيه الكـرة .

لاشئ يهم «من ذقنه وأفتل له حبله» . أموال جهينة تعود اليهم ..أموال مغاورى والحاج سيد والشيخ الشيمى .

طاف الفتية غربال كلها بملابسهم، وحملوا لافتة « الجهينى» ونادوا فى الشوارع له .

وزع تذاكر انتخابات لمعظم سيدات الحى ، سارت النسوة فى الشـوارع . خضرة تنادى :

ـ الجهينى .

وهن يرددن عليها .

قالت خضرة لعديلة :

ـ ولدك خائن . ذهب ليعمل مع الابيازى .

ـ ولد عاق ، لايعرف مصلحته . يترك بلده ويساعد الأغراب .

فى المساء أجتمع عباس ومغاورى والشيخ الشيمى والحاج سيد وصديق بن مغاورى . وبعض الرجال من أهالى الحى .

قال الشيخ الشيمى بعد أن خلع نظارته :

ـ الابيارى يبعزق أموالا كثيرة . لافتات قماش وورق واعلانات .. الخ .

قال الحاج سيد :

ـ ولو . لن يكسب الدائرة سوانا .

أزداد قلق عباس . أشعل الشيخ صدره . أيمكن ان ينجح الأبيارى رغم وعد بهجت له ؟!

أموال الأبياري كثيرة و عدد ابناء جهينة كثيرون حقا . لكن من أدراه ان جميعهم سينتخبونه . فقد ذهب حارة الي الابياري وقد يتبعه الكثير . فأنت . لولا ما تأخذه من مغاورى ورجال غربال ما أستطعت عمل شئ .

قال صديق :

ـ سيقيم الابيارى الليلة شادرا كبيرا في شارع «أيزيس» . وسيغنى

فيه «عبد المطلب»

قال الحاج سيد :

ـ ولو، مهما فعل . ومهما دفع نحن أبناء جهينة أكثر الأصوات فى غربال .

قال عباس :

ـ أتظن ان واحدا منهم لن يميل ؟

صاحوا جميعا . زاموا غاضبين

قال مغاورى :

ـ اننا لانتتخبك انت . بل ننتخب جهينة .

قال صديق :

ـ والله لأضربن من يميل .

قال عباس في هدوء :

ـ وحارة ؟

قال صديق :

ـ لن يفلت من يدى .

صاح مغاورى غاضبا :

ـ صديق . لاشأن لك بشئ . لاتضرب أحدا .

قال الحاج سيد :

ـ فليذهب حارة فى داهية . ماشأننا به .

صمت صديق . جاء سعد أفندي قال في غضب :

ـ السلام عليكم .

أقترب من عباس . لم يعر اهتماما بمغاوري وابنه ، فابنته ملكه قد شكت له من زوجها صديق .

* * *

خرج صديق ومعه حسن ابن خضرة . وبعض الزبالين ومساعديهم .

قال صديق لهم :

ـ سنهد الشادر علي من فيه . وأريد الولد حارة .

قال حسن :

ـ ماذا تريد منه ؟

ـ سأضربه . لانه ترك جهينة وذهب ليساعد رجلا غريبا .

سار حسن فى أسى . يحاول فى هذه الايام ان يبتعد عن الخمر . وأن يقلل من تعاطيه للافيون .

فقد أنشغل بمشكلة جهينة والانتخابات .

أيضرب حارة صديقه . أنسيت عشرتكما معا . البيت امام البيت . وجلستك بجواره على السلالم .والحديث عن الافلام . ونساء الحى .

شارع ايزيس كله مضاء بالانوار الزاهية . والرايات واللافتات معلقة في كل مكان (انتخبوا الابيارى) والشادر الكبير مليئ بالناس وعمال الابيارى يوزعون الشربات ويرمون الحلوى للناس والصياح يشتد

للابباري بين كل وصلة غناء وأخرى لعبد المطلب .

ورمى صديق الزجاجات الفارغة التى يجدونها فى الزبالة بكثرة . رموها فوق الشادر.

خرج الناس من داخل الشادر هلعين . أصابت الزجاجات بعض الموجودين فى الشادر.

وقف الابيارى وحوله رجاله . وحارة بينهم ، تصدروا الشادر . صاح الابيارى :

ـ عملوها ابناء جهينة .

أرتمت الزجاجات الفارغة من الناحية الاخرى . هرب الجزء المتبقى من الناس ولولا ان احاط عمال الابيارى بعبد المطلب لكان قد أصيب بزجاجة أو مقعد من المقاعد التى كانت تطير فى الهواء .

صاح صديق ومن معه سابين الأبيارى . ولدأسود . مساعد لصديق فى قسم الزبالة ـ تفز وسط الناس وضرب الابيارى علي صلعته . واخذوا يضحكون . عرفهم حارة ، أراد أن يهرب ، لكنهم أمسكوه .

كان يرتدى بنطلونا جديدا . وفانلة سوداء برقبة مكتوبا عليها باللون الابيض على الصدر والظهر (الابيارى)

صاح صديق لمن أمسك حارة :

ـ لاتدعه .. أنتظرنى .

أبتعد حسن . لن يشترك أبدا فى ضرب حارة . ورمى الزجاجات

الفارغة وبعض الطوب على لمبات الشادر . أطفأها .

قال صديق لحارة وهو يصفعه:

ـ من أجل المال تبيع جهينة . ؟!

ضربه آخرون . أرتمى حارة . أسرع حسن . لم يعد يستطيع السكوت .

دفع صديق ومن حوله :

ـ دعوه .

قال صديق :

ـ دعنى . سأفقأ عينه الأخرى حتى لايرى شيئا بعد ذلك .

هرب حارة مسرعا داخل الشادر المظلم . أختفى وسط أنصار الابيارى .

* * *

جاء الكثيرون من أهل جهينة . الذين يعيشون خارج غربال ليساعدوا عباس فى انتخاباته . لكن عزب لم يأت . مشاغله كثيرة . العمل لدى المحامى الكبير . والمحكمة وحليمة العالمة .

رقصت له عارية يوم ان حصل عى الليسانس .قالت :

ـ اليوم أصبحت زوجة الاستاذ .

أرتمت فوق صدره . قالت :

ـ ذلك ماكنت أتمناه طوال عمرى ، أن أدع مهنة العوالم وأرتاح .

لكنها لم تدع مهنة العوالم . ولم ترتح . عزب لم يتزوجها ولم تتركه هى . جاءها بائع كبدة فى شارع راغب ليتزوجها . لكنها رفضته . أتتزوج بائع كبدة ومحامى فى انتظارها ؟!

قال عزب لها :

ـ لن أحضر الى غربال ثانية . كرهت اسم غربال . لاأستطيع ان أمر في الشارع ثانية .

أستأجر لها شاليه مشتركا مع بعض أصدقائه ، تأتيه ـ هى ـ فى المساء. البرد شديد في الشتاء علي الشاطئ .تلتف بشالها الأحمر .ترتمى عندما يفتح لها الباب . تسمع صوت هدير البحر . تخاف وهى تنزوى فى أحضانه :

ـ متى ستتزوجنى ؟

أضعفها هو الان . تعطيه مايشاء . لاتذكر متى حولها الى امرأة . سنوات طويلة مرت على هذا اليوم . لم يعتذر لها يومذاك .

مسحت دموعها وعادت الى أمها .

زوج أمها يطحن البن لخواجه فى الابراهيمية . يعود مساء ورائحة البن تفوح من ملابسه . يرمى الملابس فى ازدراء .يبصق فى قرف اذا مارأى حليمة . وجودها يعنى انها لاتعمل اليوم . وانها ستأكل من أجرة طحن البن ..

تحلم بيوم أن يتزوجها عـزب . تحمل أشياءها القليلة للـذكرى

(مكحلتها وصندوق اشيائها الخاصة : هدايا عزب وصورها معه . وعلبة التواليت التى تعدها للعمل فى «الليالى»)

وعزب يسوف (عندما أحصل علي الليسانس) (عندما تتزوج أختى) (عندما أفتتح مكتبا خاصا بى)

كانت تمانع اذا ماأرادها أحد الرجال فى الافراح التى تحييها . الآن لم يعد هذا يهمها . فقد أعطاها عزب تأشيرة الدخول الى هذا العالم .. فى آخر ليلة تختار رجلا لذلك . تعرف الآن كيف تختار الأكثر مالا . لكنها رغم هذا ـ أبقت على عزب . فهو الأمل الباقى لها .

زوج أمها زادت حدته عليها ، يطلب منها المزيد . فقد باع الخواجة الذى كان يعمل لديه ـ المحل الى آخر : مصرى . لايعطيه مايريد . يطلب منه ان يطحن نوى البلح مع البن .

يعود ملولا. ينام ورائحة البن تفوح من ملابسه .

قال عزب وهو يدفئ صدرها :

ـ ذهب الكثير ، ولم يتبق سوى القليل .

تعلم هى انه كاذب . لكن هذا الحديث يطربها ، يشعرها بانها صغيرة مازالت تبحث عن شاب يتزوجها . ينسيها واقعها المضنى .

السنون الطويلة في الانتقال مع العوالم الهواة . لم تستطع رغم ذلك العمر ان تعمل مع محترفين يدفعون لها أكثر .

سافرت معهم الى بلدة قريبة من الاسكندرية . هى المرأة الوحيدة

بينهم . غنت ورقصت . اختارت رجلا . أحست بأنه أغنى الموجودين . أهتمت به ألقت بنفسها نحوه . .آخر الليلة أخذها ذلك الرجل الى بيته . عندما عادت وطالبتهم بأجرتها ، قالوا :

ـ لم نجمع سوى أجرة «الالاتية »

صرخت . أرادت ان تتبع الشدة معهم . ان تخيفهم . لكنهم كانوا اكثر عنادا . صفعها أحدهم . ضربوها ورموها على الأرض .

قالوا لها :

ـ احمدى ربنا لاننا لم نأخذ منك مما أعطاه لك الرجل الاخر الذى كنت معه .

يضنيها عزب بشتائه ، يدميها فى شاليهه هذا .

يطلبها أحيانا فى ليلة تعمل فيها . تترك العمل وتأتى اليه . لقاؤه معها يعيد اليها شبابها .

ليته يظل معها حتى وأن لم يتزوجها . على الأقل سيبقى على أكاذيبه ووعوده .

فى الصيف يسترد المؤجر شاليهه . فيبحث عزب لها عن مكان آخر . تتبعه حيثما شاء .

رغم انه محامى الآن . الأ انه يحتاج اليها فى بعض المال . كانت تظن ان الشهادات العليا ترفع أصحابها الى السماء . تجعلهم أقرب من النجوم والملائكة .

قالت له :

ـ عباس الجهينى مرشح للبرلمان الجديد .

ـ دعك منه ، انه حمار ابن كلب .

صمتت .. تمتمت « لماذا لم يحاول عزب دخول البرلمان مثل عباس . أليس هو صاحب شهادة اكبر »

قالت :

ـ ما شهادة عباس ؟

قال فى ضجر، وهو يبحث في جسدها .

ـ لا أدرى .

ـ أيكما يحمل شهادة أعلى من الآخر ؟

ـ أنا ،

رفعت جسده عنها . صاحت فى دهشة :

ـ لماذا لاترشح نفسك مكانه ؟ ألست بأحق منه . ؟

أعادها الى ما كانت عليه مبتسما :

ـ دعينا من كل شئ يتعلق بغربال وجهينة .

* * *

كأن غربال قدأشتعلت بالنار يوم ان لجح عباس .

سارت الجموع الى شارع راغب . رموا الابيارى بالطوب والزجاجات الفارغة . مثلوا به أبشع تمثيل .

نام رجل ضئيل الحجم ـ من أهل جهينة ـ فوق طاولة خبز وغطوه ..

ساروا به في الشوارع . يردد أحدهم :

ـ الابيارى مات .

زغردت النسوة . ورقصت خضرة . رمى الاطفال دكان الابيارى بالطوب والطين .

غادر الرجل المنطقة كلها.، زاول نشاطه التجارى فى حى بعيد عن غربال .

(٤)

أرسل بهجت بك الى عباس . أسرع اليه .

الميعاد هذه المرة فى البيت .

قال بهجت فى تثاقل :

ـ مارأيك ياعباس . مسرور ؟ لقد أثرت عليهم حتى نجحوك . قلت لهم انك من أنشط العاملين على بقاء الثورة . ومن خير المدافعين عنها .

أنحنى عباس . قبل يده .

أشار اليه بأن يجلس .

ـ نبدأ العمل من الان .

أهنأ . ستعمل مع بهجت بك نفسه .

ـ انت تستحق ما سأعرضه عليك . اخلاصك لى هو الذى دفعنى لكى أعرض عليك هذا .

هذا الرجل يبطئ . لعله يعدك بمنصب هام : وزير مثلا .

وزير ؟ أتحلم يا ابن بهية ؟

أى وزارة تريد . ألو أراد هو وأخيه أسيصعب عليهما ذلك ؟!

ـ تعرف سيدى بشر ؟

ـ أجل أعرفها .

ـ هناك أراضي صحراوية لاصاحب لها . متروكة دون استغلال . وكماتعلم ان من أهم اهداف الثورة التعمير والبناء ، لهذا . سنشترك معا في تعمير هذه الناحية . سنبيع الأراضى للناس ليعمروها . قال عباس فى دهشة :

ـ أرض بلا صاحب ؟!

صاح بهجت فى ضيق :

ـ اجل . اجل . ارض لاصاحب لها . سنمتلكها بوضع اليد . لاشأن لك بهذا . ستطيع ماآمرك به .

ـ خادمك المطيع .

ـ سنبدأ من الغد .

سنشاهد الارض على الطبيعة . أريد رجلا معك يساعدك .أريدك ان تحسن أختياره .

بهجت بك . الرجل الأول فى الاسكندرية الآن . قبل المحافظ ... وقبل الجميع .أياك ان تتردد . ان تخاف من ان تتبعه . البلد لاخيه ولـه . سر معه كما يشاء .

ترنحت يد عباس وهى ترقد فى خوف بين يد بهجت بك .

هبط الدرجات مسرعا . الهواء فى الشارع منعش . رذاذ البحر يأتى من بعيد . أرتمى فوق مقعد خشبى فى ترام الرمل . أحاطت بعينيه أضواء محطة الرمل الملونة . وصل بيته متأخرا . تمدد فوق فراشه ..

سيبيع أرض سيدى بشر . يقسمها مع بهجت بك والآخر الذى لم يختره بعد . تبيع أنت ويأخذ هو على الجاهز . انه يضمن لك سكوت كل المسئولين . سيرهبهم بأخيه .

الأرض كانت مملوكة لشركة بريطانية . طردت من مصر بعد حرب ٥٦ ووضعت املاكها تحت الحراسة .

أخذ يبحث عمن يشاركه ذلك العمل . وقع اختياره أخيرا على الحاج سيد . داهية . نصب على البنك ، خدعه .

* * *

تذكر ميعاده مع سعد أفندى ومغاورى وباقى الرجال من أجل أن يصلحوا بين ملكه وصديق بن مغاورى .

أرتدى ملابسه على عجل .. الاجتماع فى بيت سعد أفندى .

وقف له الرجال محيين ،

قال : كنت مع بهجت بك .

قال سعد أفندى :

ــ كيف حاله الان . لم أعد أراه فى زياراته للمحافظ .

سبه مغاورى فى نفسه ألف مرة . قال الحاج سيد مسرعا قبل ان يسترسل سعد فى حديثه عن المحافظ .

ـ كنا يا استاذ عباس نتحدث عن صديق ـ وعن خلافه مع زوجته . وقال انه يحبها ويتمنى رضاها . لكن هى غاضبة لسهره الدائم خارج البيت .

قال سعد أفندى مقاطعا :

ـ لكنه يكثر من هذا . البنت لاتستطيع ان تبقى فى الشقة بمفردها .

صاح مغاورى :

ـ ياسعد أفندى الولد والبنت سعيدان معا . والسهر خارج البيت ليس بمشكلة كبيرة تستدعى كل هذا الخلاف .

ولولا هذا الخلاف . ولولا أنك تزيد النار اشتعالاً بحديثك . لكنا انتهينا من ذلك الموضوع .

قال صديق :

ـ اجل . انتم السبب .. فملكة تحبنى

صاح سعد أفندى متاطعا :

ـ البنت دائمة الشكوى من بقائها بمفردها .

قال الحاج سيد ليهدئ سعد الثائر :

ـ كفى حديثا لا طائل منه . الأستاذ عباس ليس غريبا عنا ،، سيذهب ليأخذ رأى البنت .

قالوا جميعا :

ـ اجل . ليذهب .

ملكة مستعدة للعودة الى بيت زوجها . فقد طال بقاؤها فى بيت أبيها . جاءت لزيارة أبيها . شكت له صديق اللى يسهر كثيرا ويعود قرب الفجر .

لم تكن تريد سوى أن يقول هذا لمغاورى ـ والده ـ حتى يكف صديق عن سهره . لكن سعد أفندى أصر بأن تبقى حتى يتأدب صديق .

قالت ملكة لامها :

ـ صديق طيب . يعاملنى بالحسنى . وليس له عيب سوى السهر الدائم خارج البيت .

أعدت كل شئ لعودتها . ملابسها الموضوعة داخل حقيبة بجوارها .

تابعها عباس . كان شاردا . قال سعد أفندى :

ـ تفضل يا استاد عباس .

وقفت ملكة خجلة . قامتها مديدة . جزء كبير من صدرها عار ينفر منه ثديان لم يجربا الرضاعة بعد .

هى و أزهار أجمل بنات الشارع بلا منازع .

ـ تحدثى يا ملكة قولى للاستاذ عباس عن أفعال صديق .

شعرت بالحياء . لاتريد ان تسهب فى مدحه أمام أبيها خشية أن يظنها قد أشتاقت للقائه .

لم تتكلم . أسرع سعد أفندى قائلا :

ـ ألم تشتك من سهره الدائم خارج البيت .

أومأت برأسها .

قال سعد أفندى :

ـ صدقت ياأستاذ عباس ؟

عادا ثانية .كان صديق مثلها متلهفا لعودتها . يتمنى أن تعود الليلة معه . لايدرى لماذا غابت عنه هكذا . انه يضعها أمامه . ينظر اليها فى امعان ، يخاف ان يخدشها بكلمة لا يقصدها . تلومه أمه لانه يزداد فى تدليلها . تقول :

ـ النساء ليس لهن الا الشدة .

لكنه لم يهتم بقول أمه . ازداد فى تدليلها . لايذكر انه حرمها من شئ أرادته . لكنه يحب السهر مع أصحابه . يسهرون فى الأفراح . يضم حوله الاتباع . يرددون اسمه فى الميكروفون. (صديق مغاوري ومجاله) بصعد هو أحيانا ليغنى .

بدون هذه الأشياء لايجد نفسه ـ هو ملك السهرات في الحي ـ يحب ملكة حقا ـ فلماذا تريد ان تفقده عرشه ؟!

قال لها :

ـ اننى أسهر من أجلك انت . أحشش من أجلك . لا أستطيع ان واجه امرأة في مثل حسنك دون حشيش .

يضم جسدها لجسده . يخاف ان يقسو فى ضمه . فتتهشم ضلوعها
قالت له :

ـ سأذهب لزيارة أمى .

لم يمانع . لكنها لم تعد . بعد يومين جاءته أختها الصغيرة وهو جالس على قهوة أبو دومة ـ قالت :

ـ ملكة تريدك ان ترسل لها ملابسا ترتديها فى البيت .

قام مسرعا .أحضر لها الملابس . وضعها فى حقيبة صغيرة . ووضع بينها عشرة جنيهات ، وقطع الشيكولاتة التى كان يشترى لها منها كثيرا .

سأل أباه كثيرا بأن يعيدها اليه . قال أبوه :

ـ بعد ان ننفض من الانتخابات .

قال عباس :

ـ لقد سألت البنت ، وسألت امها . وأنتم تعرفون رأى أبيها . وانا لم أفقد الامل بعد . لكن أعطونى مهلة أسبوعا آخر .

كاد صديق يصرخ ويرفض هذا . لكنه ـ كملكة ـ لايستطيع ان يعبر عن شعوره . يخاف ان يعايره الناس فى الحى . لأنه لايستطيع البعد عن امرأته .. الوحيد الذى أعترض فى الجلسة هو الحاج سيد :

ـ الموضوع لا يستحق التأجيل .

صاح سعد أفندى :

ـ كلام الأستاذ عباس هو عين العقل .

ردد مغاوری صاغراً :

ـ كما ترون .

* * *

انزوى حارة في كوخ فوق السطوح ، أعدته أمه له .

بحث بين أوراقه القديمة .و بين كتبه

عاد من الانتخابات خالي الوفاض . ساعد الابياری ، لانه يمتلك الكثير ...

أعطاه الرجل بسخاء . لكن كل شئ قد ذهب فجأة . عندما التف ابناء جهينة حوله وضربوه . حمله رجال الابياری الى المتجر . أعطاه الرجل مالا كثيرا . وأمر رجاله باحضار طبيب .

لكن الرجل لم ينجح في الانتخابات . هجر الدائرة كلها ، أراد حارة ان يلتحق لديه في عمله الجديد . لكن الرجل كره كل ماهو جهيني .

رفض بأدب :

ـ لاأفكر في ممارسة أي نشاط تجاری الان . أقاربك جعلونی اكره كل شئ .

تخاف ياحارة التحرك في الحي . حسن ابن خضرة ـ صديقك ـ كان معهم . لم يشترك في ضربك حقا . لكنه جاء وشاهدهم وهم يضربونك ..
سبته امه . بعد ان انتهت الانتخابات وعاد الى البيت . قالت :

ـ تخون جهينة من اجل المال ؟!

لكنها ابتسمت بعد ذلك . قدمت له الطعام .

تأتيه فى كوخه كل يوم . تنقل اليه اخبار الشارع كله :

ـ بخيت الحلوانى يسأل عنك .

ضاق حارة بجلسته هذه . صعدت بمبوزيا اليه قالت لزوجها ـ الذى مازال يسعل دما :

ـ سأنشر الغسيل .

لم يقابلها حارة منذ أن أخذوه للسجن . كان يجز على أسنانه . طوال فترة سجنه متوعدا :

ـ سأعود يابمبوزيا لانتقم منك .

أقتربت من كوخه . كان يتابع أوراقه فى اهتمام . قالت :

ـ كيف حالك ياحارة ؟

وقف مبهوتا . أى أنتقام كنت تضمره لها .

الكوخ يجعل جسده ينز عرقا . يبقى فيه وحيدا يقرأ ولايفهم . يشرد فى عباس والابيارى .

تلامست يد بمبوزيا بيده :

ـ الرجل مازال يسعل فى المساء . لقد بكيت ياحارة عندما قبضو ا عليك . لم تمر ليلة وانت غائب . دون ان أبكى من أجلك .

أغلق الباب خلفهما :

ـ قد ينشغل الرجل عليك .

ـ انه مازال يسعل فى أسفل . لايموت ولايحيا .

هبط الى دكان بخيت الحلواني . تابعته بمبوزيا من خلال نافذتها . الصغيرة . ساق بخيب ممتدة امامه حاول الوقوف للترحيب بحارة :

ـ لماذا تحبس نفسك ياولدى ؟

ـ ضقت بالناس . مخنوق داخل كوخى . ملولا..

ـ أغسل الاكواب وأعد لنا الشاى .

ـ غاضب انت لانى ساعدت الابيارى ؟

ـ كلا .

ـ لماذا . ألست من جهينة مثلهم ؟!

ـ طظ .(ثم بصق)

قبل ان يسكب حارة الشاى فى الاكواب دخل رجلان. أحدهماممتـــلئ ، والاخر اقل منه عمرا . نحيف . قال بخيت مرحبا :

ـ اهلا . ولداى .

أنحنيا . قبلا أباهما . قدم حارة الشـاى وخرج ..جلس فـوق «الزلطة ».تابع النسوة . نظرن اليه شزرا . تحدثن معا . يعلم هو أنهن يتحدثن عنه . عن خيانته لجهينة .

مر به رجل من الشارع . بصق وسار .

فليبصقوا كلهم . وليفعلوا .أكثر من هذا .. واهمون ، لم ينفعهم

الدكتور الجهينى ولن ينفعهم عباس الجهينى . ولا أى جهينى آخر . لن ينفعهم أحد .

سمع حارة نداء بخيت الحلوانى . أسرع الى الدكان . كان الرجلان يستعدان للخروج . نظروا الي بخيت وحارة فى أسى . كأنهما يريدان أن يقولا شيئا . بعد ان انصرفا قال بخيت الحلوانى لحارة :

ـ يريدان منى أن أذهب معهما .

ـ" ولماذا لم تذهب . بقاؤك فى البيت خير بكثير من بقائك فى الدكان". شرد بخيت . امرأته أحسنت تربيتهم . الكبير مراقب ضرائب والثانى ـ صبرى ـ نهائى علوم هذا العام . والبنت متزوجة من رجل مقتدر فى طنطا . حضر بخيت زواجها كمدعو عادى . حتى العريس لم يكن يعرفه .

قبل ابنته يومها وتمني لها الهناء . بكى وقتذاك . ابتسمت زوجته العجوز له و قالت :

ـ لماذا لاتعود الينا ؟

شعر يومها بلذة . أب لولدين يعاملانه بتقديس . وابنته كالملكة ليلة تتويجها .. لكنه شعر بالاختناق فى اليوم التالى .

عاد من مخبز جورجى الى دكانه ولم يعد اليهم ثانية . يقضى حاجته فى المسجد . يسب ويلعن اذا ماشعر بميل للتبول وكان المسجد مغلقا .

يضطر حينذاك ان يتبول فى «كوز» ثم يسكب البول فى الصباح فوق

كوم الزبالة .

* * *

كل شئ معد باعتناء . الخرائط امامك . الارض من الجانب البحرى مملوكة لطبيب معروف . أراضيه تحت الحراسة ، هو الآخر . ومن الجهة القبلية مملوكة لبدوى هناك اسمه «نصيب» يخاف ان يفتح فمه بشئ . دخلت زوجة بهجت . امرأة ممتلئة سمراء صدرها وذراعاها عاريان .

وقف عباس في حياء . قال بهجت :

ـ عباس . ولد مكافح ومخلص للثورة .

أبتسمت المرأة . في عينيها طيبة مفقودة في عيني بهجت بك .

جلست أمامهما ترك بهجت الخرائط .قالت :

ـ متزوج ؟

وقف عباس ثانية . قال في وجل شديد :

ـ أجل .

لماذا كذبت عليها . أتخاف من أن يغير بهجت معاملته لك اذا ظنك عزبا .

قالت:

ـ لماذا لا تأتي بالمدام لزيارتنا .

أصفر وجهه . انت وبهجت وهذه المرأة الطيبة . عائلة واحدة .

ـ اجل يحصل لنا الشرف .

مخيفة . مستترة تحت الرموش .

أستأذنت المرأة بعد ان أكدت عليه بان يأتيها بامرأته .

عاد ثانية الى الخرائط . الحاج سيد هو الذى سيبيع الأرض وسيوقع على الاوراق امام المشترين . الارض ملكه هو.

حذر بهجت عباس من أن يوقع شيئا بنفسه . فهو رجله . والناس رأوهما معا . وربما يقع . فلا يقع بهجت معه .

* * *

عادت خضـــرة في عربة حنطور وقفت فرق الجبل ..تدلـت بـساقيها ، وخلفها ولدها حسن ـ يجر ساقيه . ملابسه باليه .ظهره منحن للأمام . أقتربت النسوة منها . خضرة غير سعيدة ،تنظر الى النسوة فى أسى . ولدها يسير منكسرا ، تنظر النسوة اليه فى قلق .

دخلت البيت دون قول . التفت النسوة حولها .

قالت عديلة .

ـ ألم يجر العملية ؟

قالت وكأنها تولول :

ـ النقود التى جمعتها من كل مكان لاجرى بها العملية . سرقها وأشترى بها أفيونا .

مصمصت النسوة شفاههن . أطرقن رؤوسهن فى أسى .

إحني ياخضرة رأسك . ذهب زمن المتعة . ولم يتبق لك سوى الشقاء والهوان ..أيام الدكتور السعيدة ولت . العشق بجوار الساقية المهجورة . لايعرفون عن الدكتورشيئا الان . يقولون انه يحبس نفسه في شقته بكليوباترا وآخرون يقولون أنه جن . وانه يسير فى البلدان بلا هدى .

تقاسين من ولدك حسن . كان حاله قد أعتدل ايام الانتخابات .لم يكن يسكر . لكن الأفيون لا يستطيع مقاومة سيطرته . قالوا:

ـ فى القاهرة طبيب يجرى عملية جراحية . يزيل فيها منطقة «الكيف» لدى المدمن . فيعود بعدها وقد زال عنه الادمان .

باعت خضرة عقدها الذهبى . وأقترضت النقود من كل بيت . ذهبت الى الطبيب . حدد لها موعدا للعملية . لكن قبل أن يحين الموعد ذهبت النقود كلها لبائعى الافيون فى القاهرة .

عاد مرسي فى المساء ومعه فتحى ـ ابن ازهار ـ صار مرسى شيخا. لم يعد يستطيع حمل مقعدا . الولد فتحى «عفى» يذكره بشبابه . لم يكن قد أكمل العشرين ويستطيع حمل ثلاجة كبيرة .. ويصعد بهاالخامس دور .

كان مرسى يحلم بأن يعود ابنه من القاهرة وقد برء من الادمان . كما برء من الخمر والكحول من قبل .

يتحسر مرسى عندما يجد الشباب في غربال . يقفون فوق الجبل .

لايسكرون ولايتعاطون أفيونا .. وها هو يعود فيجد خضرة وقد أرتسم الحزن على وجهها .

لاتحكى ياامرأة ففى وجهك كل شئ واضح .

ضرب مرسى ظهر فتحى قائلا :

ـ انت ولدى أيضا .

تحدثا معا عن العمل (الحمار والعربة)

قالت ازهار لامها :

ـ علاج ابنك الزواج .

أشاحت بوجهها فى أسى .

كان يرغب فى الزواج من ملكة ابنه سعد أفندى . وكان يستحم كثيرا ايامها ويهتم بشعره وملابسه .أبتعد عن الخمر والافيون . لكن سعد أفندي ـ سامحه الله ـ لم يوافق .

ملكه الان فى بيت أبيها . يقولون ان سعد أفندى لايريدها ان تعود الى صديق زوجها .

شعرت خضرة بالشماتة لهذا .

ألحت أزهار:

ـ المرأة تستطيع أن تمنع الرجل من عادات كثيرة سيئة

لم يكن مرسى متحمسا لهذا فهو لايستطيع ان يحتمل إمرأة جديدة ينفق عليها .

لكن الرجل صمت . فهو يود ان يرجع ابنه عن هذا الطريق .

وأقتنعت خضرة لكن . من تلك التى ترضى أن تتزوج ابنها حسن ؟

سألت خضرة ، قالت واحدة :

ــ أعرف امرأة فى الكرنتينة . مسكينة ، وتستطيع احتمال ابنك .

وذهبت خضرة وأزهار والمرأة الاخرى ليشاهدن العروس .

أرض الكرنتينة خواء .أكواخ متراصة قصيرة ، وحنفية كبيرة .

و دورة مياه عمومية للجميع ..

الاكواخ معدة للحالات المستعجلة . كالذين قد تهدمت بيوتهم فيسكنوها الى ان يجدوا مسكنا آخر . لكن هناك فقراء لايجدون سوى هذه الاكواخ للسكن .

من هؤلاء عائلة العروس ..

وافق أهل الفتاة . وعادت خضرة تزغرد . .

(من يصدق ان حسن يأتى عليه يوما فيتزوج فيه ؟!)

جاءت العروس صفراء. قليلة الحجم . ذات عينين واسعتين . و شعر شديد السواد .

وتغير حسن .أرتدى ملابسا نظيفة .تغامزت النسوة .فهن لم يرونه هكذا منذ وقت طويل .

خرجت العروس بعد أيام قلائل . وقفت أمام الباب . نظرت الى

بيوت غريال . رغم قدمها وتآكلها ، الأ انها خير من أكواخ الكرنتينة .

وتكررت رؤية الناس لها وهى تجلس منفردة أمام باب البيت . تنظر الى الأشياء في شرود .

وعاد حسن ثانية الي عمله والى إفيونه . وفي آخر الليل يجر ساقيه كعجوز يقاوم البقاء . فيحمل بين يديه خبزا للعشاء .

تعودت رشيدة ـ زوجة حسن ـ كل شئ في الحى .تسير حافية القدمين بجلبابها المتسخ . تذهب الى دكان بخيت الحلوانى تشترى جازاً وخبزا . تنظر الي الجالسين بجوار بخيت الحلوانى فى امعان . في عينيها جرأة .

يقوم حارة . يضع الجاز فى «اللتر » الذى تحمله . يمسح يده ويضع الخبز في يدها الاخرى .

تتحدث النسوة عنها هامسات .

سيعود حسن اليها فى المساء مخمورا .. أعادته الي السكر بدلا من ان تنسيه الافيون .

تقضي أيامها وحيدة فى حجرتها . لايعـود حسن في بعض الليالى .. ينام ليلته فى الطريق . أو فى أى قسم شرطة يعثر عليه .

تبقى هى تحملق فى السقف . احلامها تبددت . كان أملها ان تخرج من أكواخ الكرنتينة الكئيبة الى زوج يستطيع ان يسكنها فى بيت حقيقى .يضمها لصدره فى المساء . تشعر معه بالامان .

لكن هاهى تعود لأسوء حياة كانت تظنها . لايشعر بها أحدا في البيت . أزهار لاتأتى اليهم الا نادرا . وخضرة ماعادت تهتم بشئ . ولدها خاب رجاؤها فيه .حتى بعد ان زوجته عاد الى ماكان عليه قبل الزواج .

فلتسر الأشياء كما تهوى .

ومرسي ـ وحفيده ـ فتحى يتحدثان بلغة لاتفهمها . ما أن يعودا من العمل مساء . حتي يبدأ حديثهما الذى لاينتهى . عن الاحمال والحمار :

ـ العربة في حاجة الى تشحيم .

فتحى هذا يمتد فمه ككلب .أمه ازهار جميلة . لعله يشبه والده الذى لم تره رشيدة .

ينفق فتحى على البيت كله الان . جده يعطيه المال . هو الذي يحاسب على أجرة النقل . وهو الذي يأخذ الأجرة من العميل . يعطى جدته مصروفها. ثم يعطيها مصروفها هي ايضا . قروش قليلة . تشترى بها الجاز للوابور والمصباح . فطعامها تأكله معهم .

تشعل مصباحها . وتبقى فى انتظار النهار فى ملل ، يأتى حسن اليها أحيانا فى ثورة . وحوله الأطفال يسخرون منه . يجلس فى ركن من أركان الحجرة . يأخذ فى النظر اليها . يتجشأ ويتقيأ . تمتلئ الحجرة برائحة العفن .. ثم ينام بجوار قيئه .

تسمع رشيدة أصواتا من فمه وأنفه كأنها حشرجة الموت .، فلا تملك سوي أن تبكى فى مرارة .

ثم أعتادت ذلك .تسرع خضرة مهرولة اذا ماقالوا ان حسن سكران يترنح فى الطريق .

لكن هى تبقي ولاتتحرك وكأن شيئا لم يحدث ..

يعود فتحي بعد المغرب بقليل ـ يحل الحمار عن العربة ـ يرفع عنه سراجه ، يضع الطعام (التبن والفول أو البرسيم) ثم يقدم له الماء في اناء واسع .ويقف بجواره يصفر له حتي يشرب ، ثم يشده في رابطة رأسه ، و يصعد به الجبل الى الاسطبل .

«عالمك يافتحى محدود ، الاستيقاظ مبكرا . ربط الحمار فى العربة ، حمل الاشياء . ليس لك صديق سوى الحمار .

يقولون عن امك انها تعيش مع عباس الجهينى بلا زواج . هجرت غربال وصارت اكثر مالا. سأل جده عن هذا . قال له الرجل :

ـ دعك من الاشاعات انه متزوجها . لكنه يخفى هذا خشية ان يتأثر موقفه في الانتخابات . لأن زوجها السابق فى السجن .

يرى فتحى الكذب واضح في عينى جده . سرعان مايغلبه النوم بعد عودته من عمله بساعات قليلة .

أحلامه معقودة بجوار الحمار . يشاركه جر العربة . تلتقي عيناه بعيني رشيدة . تواجهه في عناد . تسرع الى حجرتها دون قول . يضع

النقود فى يدها . تضم أصابعها على النقود وتلوى رقبتها كأنها امرأة تهرب من رجل يطاردها .

جسد فتحى ممتلئ . قصير . منكباه عريضان ووجهه منتفخ . عيناه لايكادان يظهران من خلف الرموش .

يتذكر أباه ـ أبوزيد ـ حين كان يأخذه معه فى سهراته مع أصـدقائه .. يضحكون وهو يشرب الحشيش معهم . يزهو أبوه فخر ا لقدرة ولده الصغير على مشاركة الكبار .

لديه للآن صورة له وهو يحمل كوب خمر فى يده . يشربه بجوار أبيـه .هو الان لايدخن سوى السجائر . يلف له جده واحدة من علبته الصدئة .

ذهب لرشيدة . كانت جالسة بحجرتها تعد كوب شاى . وضع النقود فى يدها . ضمت أصابعها على النقود وعلى يده . قالت :

ـ اجلس . شاركنى شرب الشاى .

أراد ان يهرب . ألحت . بقى لديها . تساعده هى الان فى فك الحمار عن العربة . يتركهم العجوز مرسى . تسرع لتملأله أناء لشرب الحمار .. ثم تجلس ثانية لتنتظره حتى يعود من الاسطبل .

يحضر لها كل مساء «اللبان» تخفيه فى ملابسها خشية ان تراها النسوة اللاتى تنظرن اليهما من وقت لاخر .

تتحدث معه . تعلمت سر هذه اللغة التى يتحدثها مع جده . صارت

تحب الحديث بهذه اللغة ، تشحم العربة معه ،يرفع هو العربة وتنحنى هى لتدهن مكان العجلتين .

يقضيان أوقاتا طويلة ـ من الليل ـ يتهامسان .

لم تهتم خضرة بهذا .ولم يهتم مرسى .فتحى صار الان رجل البيت . كما انهما لم يريا عليهما شيئا سوى الحديث والبقاء معا في حجرتها لساعات والباب مفتوح .يشربان الشاى ويضحكان . حتى حسن كان يراهما هكذا ، ولايهتم .

* * *

أستيقظت خضرة من نومها فزعة على صوت دقات عنيفة على باب حجرتها . خرجت من الحجرة . بعض الرجال والنسوة يقفون فى ـ دخلة ـ البيت يثرثرون . وفتحى جالس على حافة السلم ينظر الى قدميه فى صمت . ورشيدة وسط الجميع تبكى . وتحت قدميها صرة ملابس .

قالت خضرة هى تنظر فى حيرة الى فتحى ورشيدة :

ـ ماذا حدث ؟

قال مرسى :

ـ لم يحدث شيئا . كل واحد يروح بيته .

أسرعت بمبوزيا :

ـ سأقول لك ياخالة خضرة . صوت سعال زوجى أيقظنى من النوم . وضعت مقعدا بجوار النافذة وجلست أنظر الى الظلام . رأيت شبحين

يخرجان من باب بيتكم ، ظننتهما عفريتين. وعندما أقتربا منى وجدتهما فتحى ورشيدة تحمل صرة ملابسها . صحت «عد يافتحى . عيب عليك . انها زوجة خالك»

ضربت خضرة على صدرها :

ـ تريدين أن تهربى مع الولد الصغير ؟!

قالت رشيدة في عناد وهى تبكى :

ـ أجل . أردت ان أهرب معه . أريد أن أعيش . أنى أختنق مع ولدك .

صاح مرسى :

ـ خضرة . كفى عن الحديث الان .

خرجت بمبوزيا وعديلة وباقى النسوة . ازداد حديثهن علوا خارج البيت .

سألت امرأة تسكن وسط الحارة :

ـ ماذا حدث يابمبوزيا ؟

ـ رشيدة زوجة حسن أرادت الهروب مع فتحى ابن ازهار .

أجابت المرأة بصوت سمعه مرسى بوضوح :

ـ يا ليلة سوداء . الولد يهرب مع زوجة خاله ؟!

دخل فتحى حجرته . أخذ يبكى . هو الذى أشار على رشيدة بالهروب

ـ مللت يارشيدة أن أحبك فى الخفاء . فلنهرب.

ـ لو تركت البيت سيخرب .العجوز بدونك لا يستطيع عمل شئ .

ـ يستطيع ان يأتى بمساعد . سأعمل ان لدى آخر . الى ان اتمكن من شراء عربة وحمار .

وافقته رشيدة .تريد ان تهرب من حسن وعفنه . فتحى الوحيد الذى ترتاح له فى البيت . ربما لأن عمره يقارب عمرها .

فتح مرسى الباب . مسح فتحى دموعه . جلس الرجل على حافة الفراش . وفتحى نائم يتنفس بصعوبة . قال الرجل :

ـ انا غاضب منك . تريد ان تتركنى وتذهب .. انا صديقك . منذ سنوات طويلة ونحن معا . نقود العربة معا . ونجلس علي المقهى معا . أحكى لك وتحكى لى . نتناول غداءنا فوق العربة .انا لست بجدك . انا صديقك .

أعتدل فتحى . نظر الى وجه الرجل العجوز . وجد دمعتين تنسدلان بهدوء فوق لحيته البيضاء المهملة .

أسرع فتحى ضم الرجل لصدره وأجهش بالبكاء .

تجلس رشيدة للان بجوار فتحى . يسهران بجوار الحائط بدخلان البيت . يغلقان الحجرة وراءهما .

تمر خضرة في الحجرات قلقلة . تحاول أن تدق الباب ـ ترد أن تشد البنت رشيدة . تعيدها الى اكواخ الكرنتينة . وتعيد فتحي الى احضان

جده . لكن يدا خضرة قد يبستا . ماعادت بقادرتين على فعل شئ .

تعود الى حجرتها ثانية . تقول لمرسى :

ـ الولد فتحى فى حجرة رشيدة .

يطفئ الرجل سيجارته . يقول فى هدوء :

ـ نامى ياخضرة .

تعود هو هذا . علاقة زوجته المشينة بالدكتور . العالم كله يعرف . غربال تفور وهو يدفن شعره فى البحر المالح . يتراهن هناك على الوصول الى الصخرة .

يدق درجات العمارات الملساء ـ وظهره محمل بالثلاجات الثقيلة يعود ليجد خضرة منتشية على الفراش ، لاتهتم به .

يتذكر مع بخيت الحلواني نساء كومبكير «اللبان » والانجليزيات والمرأة السوداء المختونة بطريقة تجعل الجماع معها أكثر لذة .

إيه .... أشياء كثيرة ..

أزهار الآن تعيش مع عباس الجهينى بدون زواج . وكأن كل من يركب اسم جهينة له أن يأخذ واحدة من نسائك .

نامى ياخضرة ـ الولد فتحى خير من حسن .لولاه ماكنت فعلت شيئاً .

حسن مات ياخضرة .

* * *

(٥)

كحلم لاتفهم معناه . رؤية هلامية . عجيزة بمبوزيا ترنحت أمامك .. ماعادت تخاف الآن شيئا .

أمك العجوز ـ عديلة ـ مشغولة بعمل البيت . وزوج بمبوزيا حائر فى سعاله الذى لاينتهى . فى كل يوم تقول بمبوزيا :

ـ سيموت غدا . بعد غد .

ترمى بوزنها الثقيل فوق فراشك اليابس . يئن الفراش فى ألم . ترتوى هى من عرقها. عندما تنتشى تعوى كذئب . تزوم . تصنع الاعاجيب .ليلك لانهاية له . قماط جديد (ملابس عزب) قروش قليلة يربحها أبوك من شى الذرة فوق الجبل . الماهية لم تعد تكفيه .

ـ أريد أن أعمل يابمبوزيا .

قالت من خلال العواء :

ـ انت تعمل الان .

وجه المحكمة الشامخ العتيد أمامك . عربة السجن تمر فى أناة .يهبط منها مساجين فى ملابس صفراء وعساكر يشدونهم من خلال القيود .

تابعت المارة فى أناة . جاء عزب . بدا وجهه أكثر احمرار من قبل . بذلته أنيقة ،ملابسه التي ترتديها الان . قديمة ، بلا شك انه كان يرتديها منذ سنوات قبل ان يسمن جسده هكذا .

ـ استاذ عزب .

أسرع اليه ،(ولد ياعزب . تعدلت . تحولت الى «استاذ عزب »)

ـ من ؟ حارة . كيف حالك ؟

ـ الحمد لله .

قماطك يستر جسدى .نسيت أمك أن تعطينى حذاء أضطررت لأن ألبس «صندل » أبى الذى يكنس به الشوارع .

ـ جئت كى أراك . قلت لعلى أجدك تترافع فى المحكمة .

أخذه من يده . حمد الله لان زملاءه المحامين . لم يروه وهو سائر معه .

أجلسه فى البوفيه . جلسا متجاورين فوق دكة :

ـ اننى سعيد برؤيتك .

لو كنت سعيدا حقا لاجلستنى فى المكتب امام زملائك . لكنك تخجل من مرافقتى .

ـ أشكرك على الملابس التى قدمتها امك لى

ـ عيب ياحارة . انا وانت أخوان .

قدم الساقى الشاي لهما . قال عزب :

ـ الا تريد ان تحضر جلسة محكمة ، كما كنت تفعل قبلا . لو فعلت ستراني أترافع أمامك .

ـ لقد أتيت من أجل خدمة .

ـ آأمر ياحارة .

ـ أريد ان اعمل .أى شئ . ساعى في المحكمة . حاجب .أى شئ

ـ حاضر ياحارة . سأحاول .

دس في يده جنيها .

* * *

جاءت حليدة العالمة فى شقة صديقه ممدوح . جلس بجوارها فوق كرسى فوتيه . ممدوح يعد لهما شرابا فى حجرة أخرى . أمتدت يد عزب أحاطها بذراعه . تململت . أول مرة تجد معه آخر . أيريدها الليلة له ولصديقه ؟!

هى الان لمن يدفع . لكن ليس عن طريق عزب انها تريد أن تشعر بحبه . وبأنه يغار عليها .

أنحدرت دمعتان فوق خديها . قال عزب :

ـ انك اليوم لست على مايرام .

أسبوعان لم تعمل فيهما . المتعهدون يطردونها ، يقولون :

ـ انت تهتمين برجل واحد في الحفل . ذلك الذى يدفع لك آخر الليـل ، فتعطين له كل اهتمامك . الفرق لاتريدك من اجل هذا .

أخذت من نقود زوج أمها الكثير . أسبوعان تنفق من نقوده ، التى يضعها فى بالطو أصفر معلق فى مسمار خلف السرير . لو علم بهذا سيطردها هى وأمها .

أبتسم عزب . شعر بأن الجو سيصفو له . فهى دائما تبدأ العلاقة بالعتاب « لماذا لم تتزوجنى للان ؟ » ثم كلمات معادة . تبتسم بعدها . هى التى تبدأ التعامل عادة .

جاء ممدوح يحمل في يديه صينية الشراب . وجهه أحمر به غبش .

أبتسم ممدوح لها . في عينيه صدق مفقود فى عينى عزب .

عاد ثانية الى الحجرة التى كان يعد بها الشراب .

خلع عزب ملابسه . نقود كثيرة برزت من جيب سترته . أعاد النقود لمكانها ،علق ملابسه فوق «المشجب»

ـ عزب .أريدك فى كلمة .

ـ أأمرى ياحبيبتى .

بكت ثانية :

ـ ماالذى يبكيك . ذهب الكثير . لم يتبق سوى القليل . سأتزوجك ياحليمة .

ـ اننى لاأبكى لذلك . لقد سرقت من نقود زوج امى عشر جنيهات كاملة .

ـ لماذا . الأ تعملين الان .

ـ كلا .

ـ لكننى لاأملك مالا.. نقودى تنفد أول الشهر .

نقودى الكثيرة أعطيتها لك . حتى وأنت محام . لاتريد الآن أن تسد القليل .

ـ أعطنى أى شئ . زوج أمى رجل شرس يعاملنى بقسوة دون أى شئ فما بالك لو علم أننى أسرقه

ضغط بيده علي رقبتها. قبلها :

ـ صدقينى ياحبيبتى . انت تعلمين اننى لا استطيع ان امنع عنك شيئا . لكننى لاأملك مالاً الآن .

فكت أزرار ملابسها . . نامت فى صمت. لأول مرة يكون عزب كسائر عملائها الذين يدفعون .لاتشعر بشئ . ليس عزب هذا الذى يعلوها ..

لم تشعر الأ وهو بجوارها . قالت في هدوء :

ـ وصديقك ؟

قال متصنعا الحياء :

ـ لم أدعه . استأذنته فى شقته . لكنه جاء . لم أستطع أن أصرفه .

على أى حال دعك منه .

قالت فى ابتسامة باردة :

ـ استدعه قبل ان أرتدى ملابسى .

نظر اليها مندهشا . حائرا . ينظر الى جسدها العارى والى حجرة صديقة . علا صوته فجأة جاء ممدوح . أخرج من دولاب ملابسه مبلغا من المال . دفعه لها قائلا:

ـ تعال الى فى أى وقت تشائين . حتى بدون عزب .

ـ سآتى بدونه

* * *

ترك الحاج سيد مخبزه لولده . يبقى فى سيدى بشر . يسهر لوقت متأخر من الليل بجواره زرعة «بزرونيا» عالية . يكتب عقوده .

جاره البدوى نصيب يحمل له مصباحا غازيا ، وآخرون يساعدونه فى اعداد الورق . الزبائن كثيرة . السعر رخيص . وبهجت بك يتصل بالتليفون يوميا :

ـ اخلصوا من هذه العملية بسرعة .

يقسم نصيب بالف يمين ان الحاج سيد جاره منذ وقت طويل . وانه رجل طيب ولايعرف العوج . وهل يعرف العوج من زار قبر النبى محمد!!يذبح نصيب الخراف لهم . يدعو لبهجت بك بطول العمر والهناء .

يهمس فى اذن عباس :

ـ سعادته ساعدنى فى تسجيل الارض .أكثرمن عشرين عاما لا استطيع هذا . كانت عليها مشاكل .

* * *

لم يعد وقتك يسمح لملاقاة صديق أو غيره من أهالى غربال . عملية سيدى بشر تشغلك . ماذا يريد صديق منك . يريد ملكة ؟!

لقد أنتهى كل شئ الآن . أتستحق تلك الملكة رجلا سواه . أتستحق صديق الزبال؟!

همس فى أذن سعد أفندى :

ـ لا تفرط فى البنت . انها لا تستحق سواى .

هلل سعد أفندى فرحا :

ـ وهل أحد فى الدنيا مثلك ؟

أزهار . ماعدت تراها كثيرا كما كنت .

تعود فى المساء . تذهب اليها احيانا . وباقى الوقت لدي نصيب ومع الحاج سيد .

بهجت بك يريدك ان تأتى لزيارته بزوجتك . ان لم تذهب سيغضب . ستقول امرأته «انه لايثق بنا . لايريد ان يأتى بامرأته » أو قد تعاملك بجفاء .اذا علمت انك أعزب . أو ان يبحث بهجت بك عن رجل آخر ، لانك لاتمتثل لما يقول .

أيستطيع الرجل الانتظار حتي تتزوج ملكة . انك لو انتظرت

سيعتبر هذا تكبرا منك

لماذا لاتأخذ ازهار معك . تقدمها له على انها زوجتك. ولن تمانع . فبهجت بك شقيق «ل» ليس بالقليل .

أشترى عباس لازهار حقيبة يد وفستان رآه معلقا فى احدى المحلات الكبيرة .

اموال عباس كثيرة الان . العائد من بيع ارض سيدى بشر ..

سارا معا . استقلا تاكسيا حتى بيت بهجت بك .

وجه المرأة ـ زوجة بهجت ـ أتسع بابتسامة . تلقت أزهار بالقبلات . نظر اليها بهجت فى امتعاض «المرأة تتصرف وكأنى مازلت الموظف الجالس فى صندوق الموتسكل »

تركت المرأة ازهار له . أصابعه لامست أناملها الجذابة «امرأته أكثر جمالا مما كنت تظن»

جلسوا جميعا . قدمت الخادمة الشاى لهم . تصرفت ازهار بطريقة جعلت عباس يزهو بها فخرا . «ابنه العربجى تبدو اكثر تمدنا من زوجة بهجت العظيم»

جردتها عين بهجت من ثيابها (حتما تحت هذه الملابس جسد رائع «العينة بينة » الجزء القليل الظاهر من ثدييها خير برهان على هذا)

امرأتك كبرت . شاخت . غيرت كل شئ فى حياتك سواها . كنت تعود من عملك ميتلا . ترمى جريدة الاهرام ـ مظلتك ـ وتشعل

الوابور لك تدفئ أصابع قدميك .

لم تكن قد رأت أخاك «ل» ، حكيت لها عنه . لم تصدق عندما قلت لها انه من الحكام الجدد.

بعد ان تغيرت الأمور أسرع مما كنت تظن . سعت اليك الأشياء سعيا جاءك رجل يمتلك مزارع عجول والبان . قال انه سيقبلك شريكا ، تدفع أنت القليل ـ المهم ان تحميه . ان تبعد عنه رجال التفتيش والحراسة والضرائب . ظننت ان الرجل يهذى . بعد سنوات أيقنت انه قد كسب من حمايتك له الكثير .

شاركت فى كل شئ . فى دبغ الجلود وعصر الزيوت .أحتكرت مع تاجر آخر كبير أنتاج شركات النسيج فى المحلة الكبرى وكفر الدوار . كله بالثمن . حتي الوساطة للحصول على عمل .

المرأة زوجتك لم يتغير بها سوى ملابسها . عندما تنظر اليها ترى ملابسها القديمة التى كانت ترتديها أيام صندوق الموتسكل . مازالت تتحدث بلهجتها الريفية البسيطة . تمصمص شفتيها حزنا وعجبا .

شريكك فى مزارع عجول الالبان رجل بليد . لايجيد الحديث . لاتدرى كيف جمع كل هذه الثروة . ربما بفضل ، زوجته فهى لبقة . تتحدث برقة . وتوحى لجميع الرجال الموجودين معها بانها تهتم بهم جميعا . حدثتك بالتليفون فى اليوم التالى لاتفاقك مع زوجها .(هذه المرأة تعشق السلطة والمراكز الهامة)

أسرعت الى الطريق الذى تريده . أثنت علـى جســـدك الكبيــر و فحولتك . تتحدث بطريقة مزرعة العجول والتهجين .

زرت فيلتها كثيرا بعد ذلك . كانت بمفردها . حدثتك عن ابنتها . قالت بطريقتها المباشرة :

ـ أود لو تزوجها شقيقك الاصغر . حمدى بك .

«ل» اخي . جعل من عائلتنا اسطورة . يسعي الكل من الاقتراب منها .

عباس ينظر ولايتحدث . ينظر الى الثلاثة(بهجت وزوجته ، وأزهــار) فى صمت . بهجت يرمى شباكه حول ازهار .

عباس صعيدى حقا . لكن ليس مهما طالما ان الذى يريد هو بهجت .

ـ فلتأت كثيرا بامرأتك ياعباس .

تكررت الزيارات . عشيقاتك كثيرات الآن يابهجت . منذ ان قامت الثورة وكل شئ فى متناول يدك . تلك ضريبة لابد للشعب ان يدفعها ـ ثمن الحرية . «ل» ضحى بحياته من أجلهم . فليس بكثير ذلك العطاء الذى يعطونه لك . كما انك تعطى مثلما «ل»أعطى فلولاك مااستطاع عباس ان يكون نائبا . جعلت المسئولين يرفضون ترشيح المرشح الذى هاجم عباس . قالوا . انه شيوعى ـ وما كان احد يعرف هويته .

وجعلته فوق الابيارى رغم ماله الذى لاينفد . فلماذا لايتغاضى عن

مداعباتك لامرأته ؟!

* * *

تابعت الحارة الاثاث المنقول فوق العربات ، أثاث ملكة وعباس ..يصرخ سعد أفندى في الحمالين ، يأمرهم في عنف .

ستسهر غربال كلها في زفافهما . ستصاهر عباس الجهيني النائب العظيم . انت الموظف المحترم الذى يشاهد المحافظ يوميا في دخوله وخروجه . كيف صاهرت ذلك الزبال . وابنه صديق . الحق عليك من الاول لموافقتك على ذلك .

عارضته زوجته في اصرار:

ـ الموضوع بسيط ولا يستحق الطلاق .

وبكت ملكة . :

ـ صديق طيب . ولاأريد سواه.

أصر سعد أفندى . قال :

ـ سأزوجها لسيده .

قالتا :

ـ من هو ؟

ـ عباس الجهينى .

قالت زوجته :

ـ تأتى به ليصالحهما . فيتزوجها هو .

عاندت المرأة وابنتها لكن سعد أفندى كان أكثر عنادا .

لم يعد معاورى يذهب الى عباس كما كان . وعباس ما عاد يريد ان يراه فمشاغله كثيرة الان . بهجت يرتاب فى الحاج سيد . يشك فى انه يسرق من النقود التى تأتيه من بيع الأرض . يقول :

ـ انه حرامى . لا يطلعنا على كل شئ .

يعرف عباس ان الحاج سيد نصاب ومتأصل فيه داء النصب .بهجت بك ليس سهلا كالبنك الذى رضى بالهزيمة .

بهجت شاركه في مضاجعة ازهار . ينتظرها السائق حتى تكمل ارتداء ملابسها ، يذهب بها اليه . فلتنسيه ازهار مايضمره للحاج سيد من شر. او لعله يرضى بها وتطول علاقتهما معا.

* * *

أول فرح في غربال لايحضره صديق .

هو الذي يشارك في الافراح . يجلس وسط المجلس . تدور «الجوزة» والبيرة وهو السيد دائما . يقف لينقط ويغني ـ احيانا ـ يقلد مطرب الاسكندرية المشهور «عزت عوض الله » .

لكن ذلك الحفل لايستطيع ان يحضره .

أمسكه مغاورى من يده : عندما ثار وأقسم لان يحطم كل شئ في الحفل . سيضرب سعد أفندى على أنفه .سيحطم ذلك الصنبور القذر .

صاح مغاورى فيه :

ـ ياولدى عباس الآن صديق لبهجت بك ، ويستطيع بهجت هذا ان يقتلنا ولايسأل احد .

ذلك هراء .فأبوك يبالغ حتى يقتل فيك الثورة . طارت ملكة من يدك . أثروا عليك حتى طلقتها . سرقها ذلك اللعين . أخذ يسوف حتى يستأثرها لنفسه

بكى صديق . تألمت أمه . قال مغاورى غاضبا

ـ تبكى من اجل ابنة سعد أفندى . والله فى يدى ازوجك سيدتها . ومن الابراهيمية لا من غربال .

* * *

لم يكتف الحاج سيد بما يخفيه عنهما من مال . بل سرق كل الاموال المتبقية . أنفرد بالمشروع كله لنفسه . قال لعباس :

ـ الذى اخذته انت وبهجت زادعن الحد . أتركا الباقى لى .

ـ لم يكن هذا أتفاقنا .

ـ ليس هناك أتفاق . الأرض ملكى وانا الذى أبيع . لو يستطيع بهجت شيئا فليفعله . وحينذاك سأفضحه ، سأذهب لاخيه واقول له عن كل شئ .

عاد عباس حزينا . لم يتمالك دموعه . فبكى .ذلك معناه ان يغضب بهجت بك عليك .

أراد ان يسبق ويقول لبهجت عما حدث . لكنه خاف من ثورته . قد

يأمرهم برميه فى الشارع . أو ان يلغوا عضويته من مجلس الامة .

انت ضعيف لاتحتمل غضبة بهجت بك عليك .

عاد الى غربال . سار فى الحارة . نهق حمار . نفر .تناثر الرذاذ على وجهه . ذهب الى.شارع شجرة الدر . لم يجد أزهار .يقينا هى الان في شقة من شقق بهجت بك الكثيرة فى الاسكندرية .

صرت أنت الآن «استبن ».الرجل الثانى فى حياتها .

عاد ثانية . واجهه ـ امام قهوة ابو دومة ـ الشيخ جابر شاهرا سيفه الصدئ وحوله بعض الزبالين بملابسهم المتسخة (اتباعه)

قال الشيخ جابر :

ـ باسم «المكتب الزينبى » اتهمك باقامة علاقة دنسة مع أزهار ابنة خضرة.

ـ ابعدوا عن طريقي. أنتم مجانين .

ـ ومتهم بسرقة زوجة صديق . لم تصن الامانة .

أراد ان يبكى . ان يجلس فوق الأرض ، يدفن وجهه بين يديه .

تذكر عمه الدكتور . لقد وقع هنا على بعد أمتار . يوم زيارة بهجت لغربال .

ـ المكتب الزينبي سيطاردك حتى تترك أزهار .لن نخافك . ولن نسكت عن علاقة مشينة فى غربال .

تدخل بعض عمال مخبز الحاج سيد. وقفوا ليدافعوا . عن صديق

معلمهم . دفعوا أتباع الشيخ جابر .خرج باقى العاملين فى المخبز اشرعة الخبز والخشب المتبقى من الطوايل المتكسرة .

وأشهر الشيخ جابر سيفه .أثار به الردة والدقيق العالق بملابس الخبازين جرحت رأس عباس . جاء البوليس من نقطة غربال امسكـوهم .

عندما قابل عباس الشاويش وقف له محييا . همس فى اذن زميله :

ـ انه صديق بهجت بك .

أخلو سبيل الخبازين وقبضوا على أعضاء المكتب الزينبى . ضربوهم في قسوة ثم احالوهم الى قسم محرم بك بتهمة التسول .

* * *

فى الصباح «أزدادت الطينة بلة» . حلت الدولة مجلس الامة بمناسبة الوحدة مع سوريا . جاءت الوحدة على رأسك وحطت . شهور قليلة لم تهنأ فيها بالانابة لم يقل لك بهجت بك عما سيحدث . لعله غاضب عليك لافعال الحاج سيد .. أو ربما ان ازهار تشغله عنك .

أتصل به من تليفون المخبز . قالوا انه ليس موجودا . ذهب اليه فى المساء بمكتبه . كان ثائرا . قال :

ـ سأسجنك انت وقريبك الحرامى .انا بهجت بك لايستطيع احد ان يسرقنى .

ـ قال عباس وهو يرتعش

ـ صدقنى . ليس لى شأن بهذا .

صاح وهو يضرب المكتب بيده :

ـ لن اتركه أبدا .أيظننى اخاف الفضيحة . الاسكندرية كلها تعرف مأأفعل مصر كلها تعرف ، ولايستطيع أحد فعل شئ . انا بهجت . اتعرف من هو بهجت ياعباس . قل لقريبك ان يعقل ويرد النقود .

عاد عباس الى غربال . قالوا هناك :

ـ الزوجة الجديدة كانت شؤما عليه . فبعد أيام قلائل من زواجه حلوا مجلس الامة ..

قال آخرون :

ـ بل ذلك ذنب صديق الذى سرق امرأته منه .

ويردد أعضاء المكتب الزينبى . ان الشيخ جابر سهر طوال الليل فى حجز قسم الشرطة عاكفاً على تلاوة «عدية يس» عليه .

* * *

(٦)

نفد تصيب عباس من بيع أرض سيدى بشر . فمطالب سعد أفندى كثيرة وأبنته هى الأخرى ترهقه بالمطالب . تهوى التزين والجلوس فوق مقعد فى الشرفة تتابع النسوة .

لم يعد بقادر على دفع ايجار الشقتين : شقته وشقة ازهار . انها لم تعد له .فلماذا يدفع ايجار شقتها . انها لاتهتم به ولاتسأل عنه . زال عنه بريق الاناقة . كما أن ملابسه لم تعد أنيقة كما كانت .

ملكة لاتقبل ان تسير بجواره فى الشارع .

نقود الجمعية المنزلية لاتكفى القليل من طلباته . يضطر احيانا ان يأخذ منها .يسرقها .

يقضى وقته فى لعب الطاولة مع الحاج سيد ـ أو أحد عماله . يشرد و الحاج سيد يرمى الزهر . لولا هذا الرجل لظل بهجت بك باقيا عليه . على الاقل كان سيجد له عملا مناسبا .

بهجت لايعيره الان اهتماما . اذا ماراه فى اجتماعات الاتحاد القومى يشيح بوجهه عنه . لم يرشحه لاى عمل سياسى . ويردد لبعض زملائه في الاتحاد القومى :

ـ سأخنقه.

ويردد سعد أفندى آسفا . فى غياب عباس :

ـ لو كنت مع صديق للان. لكان خير لنا . أموال مغاورى كثيرة . من بختنا أغلق مجلس الامة بابه قبل الأوان .

* * *

يضع الحاج سيد مظلة كبيرة وسط أرضه ـ التى يبيعها ـ يجلس فوق مقعد كبير تحت المظلة .و بجواره كاتب مخبزه يدون في اوراق امامه (اوراق البيع)

جاءه الرزق وهو جالس . لم يسع اليه ولم يكن يفكرفيه .

أغتنى من نصبه على البنك في جهينة(مخبزه وبيوته فى غربال)وأكتفي بهذا ، لكن عباس جاءه عارضا عليه تلك الصفقة . أيرفضها ؟!

ترك مخبزه لابنه وامرأته ، وتفرغ هو لبيع الارض . فليغضب بهجت . أيظن ان هذه الأراضى ملكه وحده . أليس له الحق فى أن يبيع لحسابه . أليس هو مصرى مثل بهجت بك واخيه «ل» ؟!

ماذا يستطيع بهجت ان يفعل . لو أستطاع البنك فعل شئ لفعله

هو .

جاء نصيب . وقف له الحاج مرحبا :

ـ اهلا نصيب .

هذا الرجل كريم بحق . يذبح لهم الخراف . يقيم الولائم لهم ، وينام الحاج سيد فى بيته اذا ماتأخر فى توقيع العقود للناس .

جلس نصيب . كان يتابع وجه الحاج سيد في قلق . الحاج مشغول مع كاتب مخبزه . يأمره بتعديل بعض شروط العقد .

جاءت الأوامر الى نصيب بضرب الحاج سيد

الحاج سيد رجل عجوز . جسده نحيل . قد يموت من ضربه له . وربما تجيئ بموته المشاكل . لكن ماذا يفعل وبهجت بك هو الذى يريد ذلك . ولبهجت بك افضال كثيرة على نصيب . ساعده فى الاستيلاء على ارض الحراسة المجاورة لارضه . وسجل له الأرض فى الشهر العقارى .

الحاج سيد يأمن له .يقف له محييا . يبتسم . فرغ الحاج من الاوراق ، وقف كاتب مخبزه . قال :

ـ سأذهب الان .

صافح الرجلان وذهب . بقى نصيب مع الحاج سيد .. أطال النظر الي عينيه . عمرك يقارب عمره . لك أنت الان فى الارض صولة ومكانة . يخشاك الكثيرون . ولك أتباع . لو ضاع هذا منك . لاحتقرك الناس .

وتضيع املاكك واملاك اسرتك كلها . وآه لو غضب بهجت بك عليك . سيجعل اعداءك هم الأقوى .

ـ ماذا قلت ياحاج سيد؟

ـ تحت امرك ياشيخ العرب .

سيدى ، لاتبتسم لى هكذا . لاتحاول ان تجهض فى نفسى الرغبة فى تنفيذ تعليمات بهجت بك

ـ انت مدعو للغداء عندى .

ـ لقد أثقلت عليك ياشيخ العرب . مرات كثيرة تذبح لى فيها الذبائح .

لاتراوغ يارجل . سأذبحك ـ انت ـ هذه المرة . هذه هى الاوامر .

ـ قسما عظما لانت اتى معى .

سار الحاج سيد . ظلهما يتبعهما ،فوق الرمل . تغوص قدما الحاج . أتباع نصيب يتابعونه من بعيد .. فضاء امامك . فضاء .

أين شيم العرب ورجولتهم ؟ ها أنت تستدرج الرجل للغدر به . تراجع نصيب . احاط به الرجال الثلاثه ـ اتباعه ـ احدهم ضربه فوق عنقه المجعد . قامته القصيرة أنحنت . ترامت .

ماعاد يشعر بشئ . الضرب يأتيه من كل جانب ،. لايذكر شيئا عن نصيب ، ولاعن الأرض . ولاعن بهجت .

أمرهم نصيب بحمله ورميه بعيدا .

عاد نصيب . يشعر بالمرارة . فقد يموت الرجل من شدة الضرب . فجسده لايحتمل .

* * *

وقفت عربة حنطور امام قهوة ابو دومة . اسرع الرجال الجالسون فوق القهوة . ليساعدوا فى حمل الحاج سيد . كان وجهه متورما . ورأسه يلتف بالشاش الابيض . وذراعه ملفوفا بالجبس . ومازل يئن .

* * *

يزداد حارة هما . الوحيد الباقى فى الشارع بلاعمل .

عزب لم يسأل عنه . زاره حارة فى المحكمة ثانية .تهرب منه . قال للساعى :

ـ قل له أنه نقل الى القاهرة .

ثار أبوه عليه :

عديلة أمه ـ أضطرت ان تجلس بجوار زوجها . وهو يشوى الذرة ، لتبيع الحلوى والقصب للاطفال .

أضطر حارة لان يبيع كتبه . حتى الأوراق التى كتبها كدراسة لأحوال غربال ، باعها ، لم يجد سوى الذهاب الى المستشفيات لبيع دمه .

شعر بضعف عندما نامت بمبوزيا تحته . قالت :

ـ أنت اليوم لست على مايرام .

يدفعون فى المستشفى كثيرا . لهذا يذهب اليهم كثيراً .

ضاقت بمبوزيا به . أعدت له أرنبا مذبوحاً ـ جاءت به اليه فى الكوخ قالت :

ـ لعلك فى حاجة لرم عظامك .

عظامه جفت . حاول معها لم يستطع .ضحكت فى خلاعة :

ـ الرجل المصدور النائم فى أسفل . قد يستطيع عنك .

أستدعت عديلة عربة حنطور . وقفت فوق الجبل . حملوا حارة فوق العربة . قالت عديلة :

ـ الولد حارة عظامه لاتتحرك .

قالت امرأة فى خلاعة :

ـ بمبوزيا مصته .

ردد البعض :

ـ هذا من بيع دمه .

* * *

عندما جاءت الدورة الجديدة لمجلس الامة عام ٦٠ . كان عباس قد خرج من كل مناصبه السياسية . ليس له الآن سوى الجمعية المنزلية . يعمل بها حتى لا يكتشفوا السرقات التى أخذها منها . وصل به الحال لأن تسبه ملكة . وتلعن اليوم الذى رأته فيه .

يأتى بعد الظهر الى مخبز الحاج سيد . يلعبان الطاولة معا . يدخنان الحشيش ، يرفع الحاج سيد يده بصعوبة . مازالت تؤلمه . رغم بقائها

فى الحبس شهوراً طويلة .

أسرع عباس لتقديم أوراقه للترشيح للمجلس الجديد . لكن كان بهجت له بالمرصاد . فقد أعادوا أوراق ترشيحه اليه . .

عاد الى المخبز ثانية . قال له الحاج سيد :

ـ ماذا لو امسكت حسابات المخبز .

قبل هذا على مضض .

* * *

أرسل الحاج سيد الى مغاورى والشيخ الشيمى . وكبار رجال الحى ، قال :

ـ لابد من وجود نائب عن جهينة فى مجلس الأمة .

صافح مغاورى عباس فى فتور . تابع الجلسة فى أسى . تساءل الشيخ الشيمى عن سبب رفض ترشيح عباس .قال الحاج سيد :

ـ هذا ليس موضوعنا الان . الموضوع هو اختيار مرشح عن غربال من ابناء جهينة .

استعرضوا كل الأسماء . قال مغاورى بعد تفكير :

ـ مارأيكم في الاستاذ عزب . انه محام كبير الآن ،

قال عباس :

ـ اجل وسأتفق معه . لأعلمه وأعرفه الطريق .

وافقوا جميعا .

* * *

كان بخيت الحلواني وحده . جالسا على مقعده . حينما هبط اليه عزب وحوله مغاورى وعباس والحاج سيد .

وقفوا جميعا أمام بخيت . أسرع عزب ، ضم الرجل الى صدره :

ـ كيف حالك يا عم بخيت ؟

شرد الرجل . ولم يجب . قال مغاورى :

ـ الاستاذ عزب الجهيني ، نائبنا الجديد

« تمت »



يتميز الروائى مصطفى نصر برؤية وبصيرة سياسية واعية ونافذة وقدرة على تشكيل ونسج وبناء الاحداث فى درامية متقنة ، تشكل بانوراما لقطاع من حياة الاسكندرية وليس البطل فى الجهينى فردا وليس البطل فى الجهينى مرحلة سياسية ، لكن البطل فى الجهينى هو المكان الذى يتقدم بكل ما فيه ، وكل الافراد الموجودين فى الرواية انما يتحركون فى اطار المكان نفسه .

انها رواية مكان مثلها مثل الروايات الموجودة بالتراث كالف ليلة وليلة.

تقدم الجهينى واقعا جديدا على الرواية العربية عامة والمصرية خاصة .





دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية

مكتبة المعارف ببيروت